

أصدر أربع مرات في السنة  
من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

# عالم الفكر

العدد 59 أبريل - يوليو 2004

## رئيس التحرير

1. نذير سيد عبد الوهاب الزقاعي

## مستشار التحرير

د. عبد المالك التميمي

## هيئة التحرير

د. علي السطراح

د. رشاد حمود المنباح

د. مصطفى معرفي

د. بدر مسال الله

د. محمد الفهلي

## مديرة التحرير

نوال المنصوروك

## سكرتير التحرير

عبد العزيز سفوح المرزوق

ثم التنظيم والإخراج والتنفيذ

يوحدة الإنتاج في المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب

الكويت



هيئة فكرية مدعومة ، تهتم  
بمجال الدراسات والبحوث  
المتعددة والمجالات النظرية  
والإسهامات الفكرية في مجالات  
الفكر والثقافة .

## سعر النسخة

الكويت ودول الخليج العربي	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

## الاشتراكات

### دولة الكويت

للأفراد	6 د.ك
للمؤسسات	12 د.ك

### دول الخليج

للأفراد	6 د.ك
للمؤسسات	12 د.ك

### الدول العربية

للأفراد	10 دولارات أمريكية
للمؤسسات	20 دولارا أمريكيا

### خارج الوطن العربي

للأفراد	20 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	40 دولارا أمريكيا

تتمد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس  
الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سدء عمولة البنك  
المحول عليه المبلغ في الكويت وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: 51990 -الصفاء- الرمز البريدي 15100

دولة الكويت

## شارك في هذا العدد



د. محمد جابر الأحمد  
د. مصطفى أبو نيرة  
د. محمد علي الفرس  
د. مصطفى أحمد النوري  
د. يوسف السوراني  
د. ناصر الدين محمد عيسى  
د. علي العبد  
د. محمد الناهي  
د. جمال مصطفى

## قواعد النشر بالمجلة

ترحب المجلة بمشاركة الكتاب النشطين ونشيط النشر الدراسات والبحوث المتميزة وفقاً للقواعد التالية:

- 1 - أن يكون البحث مبكراً أصيلاً وله بعد نشره.
- 2 - أن يتبع البحث الأسلوب العلمي المتعارف عليها وبطريقة واضحة تتعلق بالتوثيق والمصادر، مع الحفاظ كلف المصادر والمراجع في نهاية البحث، وترتيبها بالصورة والخراطم والرسوم اللازمة.
- 3 - يتراوح طول البحث أو الدراسة ما بين ١٢ ألف كلمة و١٦ ألف كلمة.
- 4 - تقبل المواد المقدمة للنشر من مستعدين على الآلة الطباعة بالإضافة إلى الفرع المرن، ولا ترد الأصول إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- 5 - تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سرّي.
- 6 - البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات إليها تدار إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.
- 7 - تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات التي تقبل للنشر، وذلك وفقاً للقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة.

■ المواد المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

■ ترسل البحوث والدراسات باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

عن: ب. 2000 - البيضاء - الرمز البريدي 12100 دولة الكويت

البريد الإلكتروني: [info@magazine.fikr.net](mailto:info@magazine.fikr.net)

## نزاعات الحدود والحروب الأهلية

- 7 الحدود بين العرب: لتجاوزها... لا بد من تحديدها! د. محمد جابر الأنصاري
- 93 حدود فلسطين مدخل إلى الاستعمار... د. سلمان أبو ستة
- 59 العولمة والحدود... د. محمد علي القرا
- 95 الجوانب النفسية للحدود... د. مصطفى أحمد تركي
- 117 الحرب الأهلية وإشكالية الداخل والخارج د. وجيه كوثري
- 141 السائلة البربرية في الجزائر دراسة للحدود الإثنية للسائلة القارية د. ناصر الدين سعيدوني
- 201 تبار الوعي السياسي في المسرح الأثني د. عطية العقاد
- 243 طبيعة مفهوم الكلام ووظيفته... أ. محمد الداهي
- 257 حضور المثقفي في تأليف ابن قتيبة مقدمة «عيون الأخبار» نموذجاً د. جمال مقابلة



## المسألة البربرية في الجزائر دراسة البُعد الإنساني للمسألة المغاربية

د. فاضل الدين سعيدوني (\*)

تطرح المسألة البربرية في الجزائر اليوم - سواء في المجال الثقافي والاجتماعي وحتى الفكري والسياسي - عدد المسائل التي تتجاوز الواقع الجزائري الحالي وتتعدى أوضاع المغرب العربي إلى ما يهم مستقبل الوطن العربي، لا هذه المسألة من انعكاس على أوضاع البلاد العربية القارئة وحسب، بل يتصل منها بالتعامل مع الثقافات المحلية وتحديد دورها ومكانتها في المناخ الحضاري العربي الإسلامي.

وهذا ما يجعل معالجة هذه المسألة تنطلق من الفهم الذاتي والقناعة الحضارية وانتظرة المحايدة لواقع الشعب الجزائري. لأنها في نظرنا تعبر عن تعامل الذات الجزائرية مع نفسها وفهمها للصور التاريخية، وتحليلها للعوامل الداخلية والأسباب الخارجية التي ساهمت في بلورها وجعلها واقعاً يعيشها يتأثر به الفرد الجزائري ويتعامل معه. بعيداً عن الثقل الثقافي الجهوي، وانطلاقاً من النظرة الشاملة للتفهمة للواقع الثقافي الذي يصبح فيه الاختلاف حيوية والتمايز مساهمة والخصوصية إثراء وعطاء، وتعدد الثقافات المحلية طمّعت إغناء فكري وتنوع ثقافي وليس عامل حُرقة وتشتت وتمزق. وبذلك فقط يمكن فهم المسألة البربرية والتعامل معها باعتبارها إحدى القضايا التي يعيشها الشعب الجزائري ووضعها في مكانها من الحركة الاجتماعية والتفاعل الثقافي للجزائر المعاصرة.

وبهذا الطرح للمسألة البربرية نتجاوز المواقف السياسية والثقاعات الأيديولوجية لعداء «المسألة البربرية» إلى عرض تاريخي لا يأخذ في الاعتبار سوى الواقع الثقافي والاجتماعي للجزائر، ولا يتوقف عند انعكاسات «المسألة البربرية» في الساحة الجزائرية، وإنما يتجاوزها

(\*) أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الكويت والجزائر.

## المسألة البربرية في الجزائر

إلى تلك المطلقيات التي أسست لها والأفكار التي دعت إليها، والتي ارتبطت بالشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر في سعيه المتأروب لضرب وحدة الشعب الجزائري وتدمير الأسس التي تقوم عليها هويته العربية الإسلامية.

من هذا التوجه في المعالجة وهذا المفهوم للموروث الثقافي، يمكن أن نحدد أبعاد إشكالية المسألة البربرية من حيث منطلقاتها في الماضي وواقعها الحالي وأخطاها المستقبلية في هذه التساؤلات، هل أن المسألة البربرية كما تطرح اليوم تحتاج حركية التاريخ الجزائري، أم أنها إحدى إضرابات السياسة الفرنسية في الجزائر؟ وهل أن هذه «المسألة البربرية» من حيث الأفكار التي تحملها، قضية تخص الناطقين بالبربريات أم أنها تعبير عن تيفظ قومي قائم على التمايز الإثني والخصوصية الثقافية للطبقة السلبية والمتغربة والتي اضطرها الواقع الاستعماري الفرنسي وخاصة في منطقة بلاد القبائل، حيث تركزت عملية التبشير والفرنسة؟ أم أنها مجرد تعبير عن تلازم اللتاع السياسي والثقافي والنداد الوضع الاجتماعي والاقتصادي نتيجة فشل المشروع الوطني الجزائري في تجاوز الموروث الاستعماري وعجزه وتفاعسه بعد الاستقلال عن ترهيم الهوية الحضارية للشعب الجزائري.

والتطابق من هذه الإشكالية سوف نتعالج «المسألة البربرية» في الجزائر باعتبارها موروثا ثقافيا ارتبط بالاستعمار الفرنسي وواقعها معيشيا اضرته تجربة الحكم الوطني، وتعبيرا سياسيا عن فتاعة أيديولوجية ومفهوم ثقافي، وهذا ما يفرض في هذه المعالجة إلى تجاوز العرض التاريخي المبسط والخطابة الصحفية المعبرة عن موقفه سياسي أو فتاعة أيديولوجية، والابتعاد عن التعميمات والأحكام الجاهزة وتكرار ما كتب حول هذه المسألة، وهذا ما يفرض علينا كذلك التنبيه، في مستهل هذه الدراسة، إلى أننا لم نأخذ بمصطلح «الأمازيغية» وإنما استعملنا تعبير «البربرية» لأسانته التاريخية، ولكون مصطلح الأمازيغية كلمة موضوعة لغرض سياسي أيديولوجي قائم على مخالطة لفظية تحاول التستر على الأصول الأولى لهذه المسألة وتهدف إلى تجاوز الخاص إلى العام، بحيث تكتسي فتاعات التظية الداعية لها شكل مطالب مشتركة وطموحات مشروعة لمختلف الجهات التي توجد بها المجموعات الناطقة بالبربرية.

كما يتعين علينا كذلك التأكيد أن دراستنا للمسألة البربرية في منطلقاتها وتطورها التاريخي يظل محصورا في المجموعة المؤمنة بها والمعنصبة لها والتي يكاد أغلب أفرادها ينتمون إلى الطبقة الفرانكوفونية ببلاد القبائل<sup>(1)</sup> وهذا ما يبعد سكان بلاد القبائل، عن أي موقف جهوي وإحساس طائفي معاد للبربرية والإسلام، فالقبائل عبر تاريخهم ومن خلال مواقفهم جز، لا يتجزأ من المجموعة الوطنية الجزائرية، لا يختلفون في شيء في فتاعاتهم ومواقفهم ولا يقلون شأنًا في إسهامهم وعملهم لتعزيز الهوية الجزائرية وصيانة الوحدة الوطنية والتمسك والاعتزاز بها.

الطلاقا من كل ذلك، سوف نستعرض الأدبيات المؤسسة للمصالة البربرية، ونعرف بالتعبير البربرية بالجزائر وتأثيراتها في الواقع الجزائري (1914 - 2002). ونأمل أن يجد القارئ العربي في هذه الدراسة ما يسمح له بتكوين فكرة محددة ورأي صريح في المصالة البربرية من حيث منطلقاتها وتطوراتها وتأثيراتها على الواقع الجزائري.

## أ- التأسيس للمصالة البربرية في الجزائر (1830 - 1914)

تتدرج الفكرة المؤسسة للمصالة البربرية في الجزائر ضمن المخطط الاستعماري الفرنسي في الجزائر القائم على تحقيق هدف استراتيجي يتمثل في العمل على إلغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري. من حيث أسسه النادية ومفوماته الحضارية<sup>1/</sup>، وقد تعددت معاني هذا المشروع الاستعماري الذي يستهدف البنية الاجتماعية والحضارية في فكرة تقسيم سكان الجزائر وتصنيفهم إلى بربر وعرب. لتوفير الشروط الثلاثة لبقاء فرنسا في الجزائر وتهيئة الظروف في حالة انتهاء المصالة الفرنسية لتكون كيانات محلية قائمة على التمايز القوي والخصوصية الإثنية.

لقد وجد مخططو المصالة الاستعمارية بالجزائر في المناطق التي مازال سكانها يستعملون لهجاتهم البربرية مثل الأوراس وسيزف والقبائل ما يوفيه شروطا أولية ووضعية ملائمة لتحقيق ما يطمحون إليه<sup>2/</sup>، وقد تركز اهتمامهم في ذلك على منطقة القبائل لأنها حسب مفهومهم أكثرها قبلا وتأثيرا على باقي أقاليم الجزائر. فهي منطقة قريبة من مدينة الجزائر عاصمة القطر الجزائري وبينه كثيفة السكان صعبة التضاريس محدودة الموارد لا تتقبل الاستيطان الأوروبي الواسع ولا تسمح بالاستقلال الاقتصادي الراسمالي. فضلا عن كونها إقليما يتميز بخصائصه من حيث لغة السكان وعاداتهم وإقاليدهم الخاصة التي جعلت الفرد القبائلي - في نظرهم - يتمسك باستقلاليته ويمتد بالتصالح القبلي ويحجم عن الاندماج مع غيره، ويجهد نفسه في الحصول على قوته وتوفير حاجياته.

فيعد إخضاع بلاد القبائل وإخماد مقاومة رجال الزوايا بها (1811 - 1837)<sup>3/</sup> انصب اهتمام الضباط الفرنسيين العاملين بالمنطقة وموظفي الإدارة المحلية المعروفة بـ «الكاتب العربية» (Bureaux arabes) و«البوارج البلدية المختزجة» (Communes mixtes)<sup>4/</sup> كما تركز نشاط الباحثين الفرنسيين المختصين - وأغلبهم ممن عمل بالجيش الفرنسي - بالشؤون الأهلية (Affaires indigènes). على رصد كل ما يعجز «القبائل» عن فهمهم من الجزائريين. بتشجيع من الحكام العاملين للجزائر مثل البارشال بيجو (Maréchal Th. R. Bugeaud) والجنرال راندون (Général Randou) وماكماهون (MacMahon) الذين كانوا يصدرون تعليمات خاصة بفصل القبائل عن غيرهم من الجزائريين في المعاملات وفي القوانين. وقد أبدى هؤلاء

## المسألة البربرية في الجزائر

الضباط، والموظفون الفرنسيون هماسة وإصرارا في مهمتهم حتى عرفوا في أوساط الإدارة الفرنسية بالضباط والموظفين «نوبي الهول القبائلية» (Officers kabylophiles) وكونوا لأنفسهم قاعات تتلخص في فصل القبائل عن باقي الجزائريين. وهذا ما جعلهم يؤمنون بضرورة أن يكون لفرنسا سياسة بربرية في الجزائر، ونظرا لكون تلك السياسة غير واقعية ومستحيلة التطبيق لرفض غالبية السكان لها وتخوف العمريين الأوروبيين من نتائجها، فإنها ظلت مجرد فكرة أيديولوجية وخطة سياسية، عرفت لدى العديد من الدارسين للسياسة الفرنسية في الجزائر بـ «الخرافة القبائلية» أو «الوهم القبائلي» (Mythic kabyle)، وكان في طليعة من حل هذه المسألة المؤرخ شارل روبر أجرون (Ch. R. Agaron).

ويغض النظر عن ملايسات هذا الوهم أو الخرافة القبائلية فإن الاهتمام بمنطقة القبائل وهو إسهاما أدبيا وتاريخيا ومرجعا أيديولوجيا للسياسات البربرية لفرنسا في الجزائر، كانت بدايته ما تركه المستشرق الفرنسي فانتور دو بارادي (Venture de Paradis) أواخر القرن الثامن عشر من ملاحظات حول قواعد اللغة البربرية ومفرداتها، والتي جمعت وطبعت بباريس (1814) بعنوان «قواعد ومفردات اللغة البربرية»<sup>1</sup>، وكذلك ما لاحظته الأب رينال (Abel G. F. Reynal) عن البربر في كتابه «التاريخ الفلسفي والسياسي للمؤسسات وتجارة

الأوروبيين في إفريقيا الشمالية»<sup>2</sup> (1829). لقد ضلّى الإسهام الفرنسي النشط بمنطقة القبائل والؤسس للمسألة البربرية فترة تجاوزت القرن (1829 - 1929) وأوجدت زمتيدا مفتيرا من الأدبيات والدراسات التي تعالج «إثنوجرافية القبائل، من حيث التقاليد والأعراف والروايات الشفوية والثرات الفولكلوري والمظاهر الاجتماعية والدلالات اللغوية والبقايا الأثرية، فكانت أساسا لما يعرف بـ «رصيد الوثائق البربرية» (Fonds de documentation berbère)، هذا الرصيد الذي حرص الأباء البيضي في بلاد القبائل على جمعه منذ سنة 1817، وصممت مراكز البحث الفرنسي حاليا على توظيفه في المكتبات ليكون مرجعا مفضلا للباحثين الفرنسيين والدعاة الفكرة البربرية في الجزائر.

شكلت هذه الدراسات حول المسألة البربرية بالجزائر أدبيات أيديولوجية ومعالجات إثنوجرافية كانت الأسس التي يقوم عليها علم «الاجتماع الاستعماري» في الجزائر (Sociologie coloniale) وتطلق منها «الإثنوجرافية والأنثروبولوجية الأهلية» (Anthropologie et ethnologie indigènes). وقد أحصى منها العسفيد ماسكوري (Masquerey) في كتابه «تكوين المراكز الحضرية للسكان المستقرين بالجزائر: قبائل جرجرة والأوراس وميزاب» الصادر سنة 1886، ستةائة عنوان عن بلاد القبائل ومائة وسبعين عن منطقة الأوراس<sup>3</sup>.

والأهمية هذه الدراسات المؤسسة للتدعوة البربرية في الجزائر، فإننا سوف نشير إلى بعض العينات المهمة منها مرئية حسب تاريخ ظهورها في القائمة التالية :-

- (1838) ج. فرعون (J. Furon)، القبائل وبجاية.
- (1839) 1. دورو دو لامل (A. Durou de la Malle)، معلومات حول استيلاء الفرنسيين واستقرارهم في هذا الجزء من شمال أفريقيا.
- (1839) الطباطبائي هـ. صالادان (H. Saladin)، رسالة حول استعمار الملكات الفرنسية في شمال أفريقيا.
- (1839) العقيد إيمون لابون (Colonel Ed. Lapène)، ستة وعشرون شهرا ببجاية - مذكرة تاريخية وأخلاقية وسياسية وعسكرية حول القبائل، طبع جزء منه منفصل بعنوان: لوحة تاريخية واجتماعية وسياسية حول القبائل (1816).
- (1810) القس سوشي (Abbe Souchy)، رسائل أساسية وعظيمة حول البلاد الجزائرية.
- (1811) الأب دوقا (Père Dugas)، بلاد القبائل وشعب القبائل.
- (1811) البارون بود (Baron Boud)، الجزائر.
- (1811) 1. بافو (E. Baffo)، رحلة سياسية وصفية في الشمال الأفريقي.
- (1811) 1. بروسار (Ch. Brosard)، القسوس الفرنسي البربري، بمعونة سويدي أحمد بن الحاج علي.
- (1815) 1. المارشال شر. - بيجو (Marshall Th. R. Beggio)، عرض للوضع الحالي للمجتمع العربي أو مختلف الأعراق التي تسكن البلاد الجزائرية (عربا وقبائل).
- (1817) 1. الكابتن فابار (Capitaine Fabar)، والجنرال أوجين دوما (Général Eu. Dumas)، بلاد القبائل الكبرى - دراسات تاريخية.
- (1817) 1. ش. دويلان (Ch. Duylan)، القبائل وبلاد القبائل.
- (1818) 1. كاريث (Capitaine E. Carre)، دراسة حول بلاد القبائل الحقيقية.
- (1852) 1. الجنرال أوجين دوما (Général Eu. Dumas)، عادات وتقاليد البلاد الجزائرية (القبائل وبلاد القبائل والمصحراء)، وبلاد القبائل والمجتمع البربري.
- (1852) 1. بربروغجي (A. Berbrugger)، الفترات العسكرية في تاريخ بلاد القبائل، والتطويع العسكرية للقبائل الكبرى تحت الحكم التركي (مقاطعة الجزائر).
- (1858) 1. ش.ل. فيرو (Ch. Ferret)، مذكرات حول بجاية.
- (1859) 1. س. دوقا (C. Dugas)، قبائل جرجرة.
- (1861) 1. الطبيب أ. برنار (Dr. A. Bernard)، الحملة العسكرية على بلاد القبائل.
- (1861) 1. غان (Colonel L. Gagn)، مذكرة حول الشيخ قاسم القشتولي.



## المصادر الأولية في الجزائر

- (1861) البارون هنري أوكايتان (Baron H. Aucapitaine): القبائل واستعمار الجزائر.
- (1866) ش. فارين (Ch. Farine): عبر بلاد القبائل.
- (1866) ن. بيبسكو (N. Bibesco): قبائل جرجرة.
- (1869) غابريال هانوتو (G. Hanoteau): الأشعار الشعبية لقبائل جرجرة.
- (1871) أو. بومال (Au. Pommel): أجناس أهالي بلاد الجزائر (عرب- قبائل- حضر، يهود).
- (1872) العقيد أ. هانوتو (A. Hanoteau): قواعد القبائلية.
- (1872) 1. هانوتو (A. Hanoteau) وأ. لوتونو (A. Lotonno): بلاد القبائل والعادات القبائلية.
- (1873) العقيد ن. روبان (Colonel N. Robin): مذكرة حول التنظيم العسكري والإداري للأثرال قبائل الكبرى.
- (1878) ه. فورنال (H. Fournel): التبرير دراسات حول فتح العرب لأفريقيا.
- (1878) الطبيب غافوا (Dr. Gervoy): مذكرة حول تيزي أوزو.
- (1881) م. مانوفرييه (M. Manouvrier): أنثروبولوجية الجزائر.
- (1884) أو. مرسيه (E. Marsier): أهالي القطر الجزائري.
- (1886) أو. مانسكرواي (E. Maniquet): تكوين المراكز العمرانية لدى السكان المستقرين بالبلاد الجزائرية (قبائل جرجرة).
- (1886) أو. هوداس (O. Houdas): الجغرافية الجرافية.
- (1888) ش. أو. بيرتي (H. E. Perrot): كتابات جزائرية<sup>(1)</sup>.
- (1888) ب. غافار (P. Gaffard): الجزائر المحتلة.
- (1888) كامي فيري (C. Virey): القبائل.
- (1889) أو. شارفينيا (E. Charvenet): عبر بلاد القبائل والمسائل القبلية.
- (1890) ل. رين (L. Rinn): تمرد القبائل سنة 1896.
- (1893) جول ليونال (J. Lionel): أجناس التبرير، قبائل جرجرة.
- (1895) ج. بواسيه (G. Boissier): أفريقيا اللاتينية.
- (1905) جورج إيليه (G. Elie): بلاد القبائل والآباء اليهوس.
- (1905) ج. لوميستر (J. Le Maistre): عادات وتقائيد القبائل.
- (1912) 1. لاوست (E. Laoust): دراسة حول اللهجات البربرية لشتوة مقارنة باللهجات بني مناصر وبني صالح.
- (1912) 2. دولي (Ed. Doust) وأو. ف. غوثيه (E. F. Gauthier): تحقيق حول انقراض اللغة البربرية.
- (1913) ج. مارسيه (G. Marsier): العرب في بلاد البربر من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر.

- (١٩١٤) المطبق ل- بيشر (Colonel L. Pichot): تاريخ أفريقيا الشمالية.
- (١٩٢١) فـ. بيكيه (V. Piquet): حضارات شمال أفريقيا (البربر والعرب والترك).
- (١٩٢١) أو. برنار (An. Bernard): تحقيق حول السكان الريفي للأطلسي الجزائريين، الجزائر (١٩٢٩).
- (١٩٢٢) لو. لارشيه (E. Larcher) وجـ. ريكستفالد (G. Rostenwald): مدونة لولاية للتشريع الجزائري.
- (١٩٢٢) لويس برتران (L. Bertrand): الإسلام والخمسة المسلمين - قصيدة الأجناس (١٩٢٠).

## ب- فرضيات وطروحات المعالمة البربرية بالجزائر

إن هذه الدراسات حول العنصر البربري في الجزائر وما يتعلق منها بالبناء الاجتماعي كنظام القبائل وخاصة ما يرجع منها إلى العادات والتقاليد والشفاقيات الشفوية والنهات العلمية والظواهر اللغوية وشواهد ما قبل التاريخ والبقايا الأثرية والدلالات القوية وفرت الإطار النظري والمراجع الأيديولوجي لتعديد قواعد تطبيقية «السياسة البربرية» فرنسا في الجزائر. هذه السياسة التي صيغت من طرف منطري التشريع الاستعماري في شكل قوانينها، فسلم بها وأفكار غير قابلة للمناقشة والتد من أجل تحقيق أهداف محددة أساسها تقسيم الجزائريين إلى هويتين قبايلية وعربية ووضع حواجز بين المجموعتين لتسليطة الاستعمار الفرنسي والثالثة الثقافة الفرنسية.

و انطلاقا من قراءة متفحصية لهذه الفرضيات والأفكار المؤسسة للمساكنة البربرية يمكن تحديد الخطوط العامة لها في النقاط التالية:

١- فصل القبائل عن باقي الجزائريين باعتبارهم مع غيرهم من المجموعات البربرية إثنية متميزة لا تعبت للعرب بأي صلة، بل هي معادية بطبيعتها للعرب (Les berbères ennemis des Arabes)، إذن فعلى فرنسا والحالة هذه أن توجد توازنا بين العرب والقبائل باعتبارهما إثنين أو قوميتين متميزتين، وهذا ما أوضحه أو. شارفينا بقوله: «يوجد في الجزائر عنصران متميزان من حيث اللغة والعادات وحتى الدين، وهما العنصر القبائلي والعنصر العربي، ويجب علينا أن نبقى هذا التمايز والانقسام»<sup>١٠</sup>.

باشرت الإدارة الفرنسية في الجزائر إلى سن قوانين تهدف إلى إبعاد القبائل عن باقي الجزائريين في المعاملات الإدارية وفي التمثيل المحلي، فجعلت للقبائل تمثيلا خاصا بهم في المجالس المالية (Délégations financières) (١٨٩٨)، وخصصت لهم ستة ممثلين من مجموع واحد وعشرين ممثلا في هذه المجالس لكل الجزائريين، وقد كانت حجة الإدارة الفرنسية ودارسي البربريات في هذا التقسيم أنهم يسعون إلى المحافظة على إثنية السكان الأصليين

## العثمان البربرية دم الزائر

لشمال أفريقيا، وهم البربر، التهدة من جهة العصور العربي الذي يمثل في نظريهم فئة ضئيلة فهمين على أغلبية محلية حسب تعبير دي شوماس<sup>(1)</sup>، ويجسده في ذلك فيكتور بيكسي (V. Piquet) عندما يعلن صراحة أنه: «لا يمكن القبول بالفكرة القائلة بأن شمال أفريقيا أهل بالعرب... إن سكان شمال أفريقيا لم يهرعوا فهم ليسوا سوى مغاربة (Magrebis)... إن هذه البلاد هي تراث هذا الجنس الجميل الذي يسكن جبال القبائل»<sup>(2)</sup>، ويؤكد فكرته لويس برتران (L. Bertrand) عندما يعلن أن: «البربر في الجزائر هم الأصل وأن العرب ما هم إلا غزاة دخلاء»<sup>(3)</sup>، وهو لا يختلف في توجهه هذا عن أوجيستان بريل (A. Bertrand) الذي يحط من شأن العرب ويذكر: «أنه يجب ألا نبالغ في تأثير العملة الهلالية التي عرفت المغرب في القرن الحادي عشر، فالتبرير وإن نسوا لغتهم وأخذوا لغة الغزاة، فهم بكل بطل قد حافظوا على تفوقهم العديدي»<sup>(4)</sup>، والحكم نفسه نجده عند فورنال (Fornal) عندما يستخلص في دراسته للفتح العربي لبلاد المغرب: «أنه اكتشف الجنس البربري وتعرف على طباعه وتبين أن نسبة تأثيره بالمغرب ليس لها أي أهمية»<sup>(5)</sup>.

وقد انتهى الأمر بدارس البربرية من الفرنسيين في الجزائر إلى حد اعتبار القبائل أقرب الجماعات المتكاثرة إلى الأوروبيين، **بحسب فيكتور بيكسي**، «إن هذه سنة قديمة بالأجناس الأخرى بعوض البحر المتوسط، وأجد نفس قوى عرفت كيف بعد من عرفت الحرية ويعولها إلى نشاط سلمي متميز»<sup>(6)</sup>، أما غاستون سوليبه (G. Solib) فيرى أن القبائل شعب نبيل في انتمائه قابل للتحويل السريع والتحمل لكل العنصرات التي كان على اتصال بها، وهو يعد من بين الشعوب التي استطاعت أن تحافظ جيدا على خصائصها الأولية وطبيعتها الخاصة، وهذا ما جعله شعبا يجمع عدة خصائص قد لا تجدها متوافرة لدى شعب آخر بهذه الدرجة، فهو قد تطور لنا أنه مستسلم متقبل بصفة عامة ومتعايش مع أوضاع الآخرين، ولكنه في اعماقه يحافظ على نفسه ويكلمه واحدة هو شعب قليل الغلظة ولكنه شديد الثبات والاستمرار<sup>(7)</sup>، وهذا ما أخذ به أحد دعاة البربرية ببلاد القبائل وهو المحامي أبايزن الذي استبدل اسمه بأوجيستان بعد اعتناقه المسيحية، إذ يعتبر: «أن القبائلي ليس ساميا في أصله، ولكنه ينتمي إلى إنسان المتوسط الذي اتجه التاريخ إلى جبال جرسرة والذي هو في ميوله أقرب إلى الشعوب اللاتينية»<sup>(8)</sup>.

وقد صاحب هذا التوجه محاولة تحديد التواسطات الإثنية للمغرب والقبائل، فوصفوا العرب بأنهم بدو يمنهون القروسية ومنديون ونزو شعور واميون سوداء وبشرة أكثر سمرة، فيما القبائل مشاة وفلاحون قليلو التدين شمر الشعور زرق العيون، مع أن هذه الأحكام في أساسها مناقية لكل منطق علمي وحقيقة تاريخية، لأن سكان الجزائر يعتبرون من عنصر بشري واحد نتج عن امتزاج العرب بالبربر والصهار الألوام الأخرى التي اختلطت بهم بحيث أصبح من المستحيل التمييز بين البربري الفتح والعربي الأصل.

ومن هذا المنطلق فإن متطري السياسة البربرية لقروننا هي الجزائر لم يشهدوا هي إطلاق أحكام عنصرية صارخة تعكس من شأن من المستعمر عريضة، فالجنرال دوماس (Général Eu. Dumas) يستنتج في دراسته للمجتمع الجزائري أن العربي بدوي متوحش بدائي ومتعصب وغير جدي وكسول وأن القبائلي قلاخ منجح متعصب حضور بنفسه وعامل معتمد يرى في الكسول عارا ومذلة<sup>17</sup>. وكذلك الدليل السباحي لبغاية (Bougie de Bougie) الصادر في 1911 الذي يعرف السائح الأوروبي بطبيعة السكان بهذه العبارة: «إن القبائل أفضل من العرب ولهم قابلية الاندماج في بولقة التقدم الحضارتية»<sup>18</sup>. وقد كان القصد من هذا البحث من شأن المتعصب العربي وإحقاق شئ الأوصاف النحطة به والافتخار بالمتعصب القبائلي هو جعل القبائل يحسون بشخصيتهم ويحفل لديهم عقدة التمييز التي سوف تكون بمثابة حاجز نفسي بينهم وبين باقي الجزائريين.

وقد أخذ هذا التوجه لدى مجموعة الضباط والموظفين ودارسي البربريات الفرنسيين في الجزائر طابع حملة صليبية شملت أوجها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية النصف الثاني من القرن العشرين. فالتفكير القوي للاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962) صنفوا العرب في خانة الأعداء والمقصوم واعتبروا العرب من الجزائريين أعداء والفتح الإسلامي احتلالا والهجرة الهلالية في القرن الخامس الهجري (العشر الثاني عشر الميلادي) عامل حروب وتدمير، فالضابط الفرنسي كاريت (Carré) وهو أحد مثقبي السياسة البربرية تنص على أن العرب في الجزائر يصف الوجود العربي بالجزائر بهذه التعصبات الاستعمارية، «لقد كان هجوم العرب الفاتحين كالإعصار يقتلع الأشجار ويهدم المنازل، وهجوم الهلاليين كان حريق الهائل الذي يذر الأشجار والسكان رمادا تفرز الرياح، فما أبقاه الإعصار قضى عليه الحريق»، وما بقي من السياسة العربية قلما ذهب به الطبع الهلالي، فاتم الهلاليون أعمال التعريب التي ابتدأها الخلفاء الأوائل<sup>19</sup>. والتوقف نفسه ببناء أحد دعاة البربرية المدعو لحواس معنوفي متدعا بحلق من التفرقة الهلالية بهذه العبارة: «إنها كثيرة هي الآلام التي نتجت عن اجتياح الهلاليين في الماضي. هذا الاجتياح الذي كان نتيجة خيانة وغير عرب القاهرة (بشخص القاطنين) الذين يتحملون مسؤولية ذلك»<sup>20</sup>.

2- إبعاد القبائل عن الأحكام الإسلامية من حيث الأحوال الشخصية والمعاملات والقوانين واستبدالها بالتقاليد والعرف والعادات (Us et coutumes) وبالقوانين الفرنسية لكونها كفيلة بتأكيد خصوصيتهم العرقية ووضعهم الاجتماعي المتميز ولأنها أكثر ملاءمة للنفسية القبائلي التي راعوا أنها لم تتأثر كثيرا بالتواضع الديني، فبغلا عن أن إلقاء الأحكام الشرعية لدى القبائل في حد ذاته يعتبر بمثابة القضاء على الفاسم المشترك الذي يوجد الجزائريين ويحفظ كيانهم ويحاول دون نجاح المخطط الاستعماري الفرنسي الذي يستهدف هويته.

وفي هذا المسمى يادر الحكام الفرنسيون بالجزائر بعد إخضاعهم بلاد القبائل إلى إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية التي كانت متبعة في أوساط قبائل جرجرة، فأصدر حاكم الجزائر رانزون (Ranzon) تعليمات (Circulars) تحت رقم 197 بتاريخ 11 يناير 1864 للتضباط العسكريين القائمين على الكاتبات العربية ببلاد القبائل يطلب فيها منهم التخلي في معاملاتهم عن القوانين التي لها الصلة بالشرع الإسلامي، والتي كانت «الكاتبات العربية» تطبقها في مجمل أنحاء الجزائر، واستبدالها بتنظيم محلي خاص بالقبائل لكونه يتواءم مع أفكارهم ويظهرهم أكثر إلى النظام الفرنسي<sup>137</sup>، وبالفعل دخلت هذه التعليمات حيز التنفيذ العملي بعد أن صيغ العرف القبلي في شكل قوانين قابلة للتطبيق، وقد كان في طليعة الضباط المتحمسين لاستبدال أحكام الشرع الإسلامي بالعرف القبلي العقيد بيشو (Colonel Pichot)، فقد كان يرى أن من واجب فرنسا أن تصوغ كل الأعراف والتقاليد القبلية في شكل أحكام وتطبقها في كل بلاد القبائل، وقد وجد المساعدة من العقيد هانولو (Colonel Hanoulet) والمستشار لوتورنو (Conseiller Latorneau)، فلم يتراجع الأول أمام الصعوبات والعوائق القانونية وأكد الثاني في رسالته المؤرخة في 11 نوفمبر 1864 للسلطات الفرنسية: «إن فكرة إحياء العرف القبلي قد فرضت نفسها، وشقت طريقها لتطبيق في شكل أحكام موحدة وموثقة على نصف مليون من البربر (القبائل)»<sup>138</sup>.

وبالفعل فقد انصب اهتمام الضباط الفرنسيين العاملين بمسألة قبائل ومستشاري الإدارة الفرنسية بها على توفير النماذج التشريعية القابلة للتطبيق اعتمادا على الملاحظات التي جمعوها والكتابات التي أنجزوها حول عادات وتقاليد القبائل، مما وفر مادة قانونية عرفت بالقانون القبلي، وأولت إلى كل من كاريه (E. Carre) ودوما (E. Douma) وهانولو (Hanoulet) ولتورنو (Latorneau) وميو (Millet) مهمة تجميعها وصياغتها، وبذلك أمكن الإدارة الفرنسية ببلاد القبائل إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بالأوقاف والمعاملات من تكاج وإطلاق وما يفرع عنهما من ميراث وصية وحجر وتمويهها بالقانون القبلي، فقد نص قانون 21 ديسمبر 1864 الخاص بأحكام الشريعة الإسلامية المتبعة في الجزائر على أن بلاد القبائل لا يطبقها هذا القانون، ولم يخل الأمر حتى اقتضت السلطات الفرنسية أحداث انتفاضة الرحمانيين (1871) لتتزع الصلاحيات القضائية ذات الصلة الإسلامية من مجلس الجماعة (القروية) وتجعلها في يد قاضي الصلح المعروف بالقاضي الموثق المكلف بتسجيل القضايا ومساعدة مجرزي العقود الفرنسيين (Notaires)، وبعد ثلاث سنوات من ذلك تم عملية إلغاء القضاء الإسلامي ببلاد القبائل وتمويحه رسميا بالقانون الفرنسي في كل المعاملات بفعل قانون 29 ديسمبر 1871، وهذا ما استوجب تعميم المعايير الاستثنائية وحل مجالس الجماعة نهائيا (1882) وتحول صلاحياتها إلى قضاة الصلح (الموثقين) الفرنسيين (1889)<sup>139</sup>.

و كان الهدف من هذا التوجيه المعادي للهوية الإسلامية هو جعل منطقة القبائل ميداناً لحرية لما سوف يعمم على جهات عدة أخرى من الجزائر والغرب الأقصى، وقد بدأ التحضير لذلك مع استدعاء إدموند دوتش (Edmond Douhet) إلى الرمساط (1922) ونقل السري بأبيه (A. Basset) من الجزائر إلى الرباط (1922 - 1924)، لتعزيز جهود بعض دارسي البربريات في معظم الدروب من أجل إصدار التظهير البربري في الغرب الأقصى (1924) (1).

هذا وقد طغت هذه السياسة الفرنسية أساساً لعمل الشرعيين الفرنسيين الذين اشترطوا على الجزائريين، للحصول على المواطنة الفرنسية، التخلي عن أحكام الشرع الإسلامي فيما يخص الأحوال الشخصية سواء في مواد مرسوم الإمبراطور نابليون الثالث المعروف بالسيناتورس كونستولت (Sénatus Consult) في 11 يوليو 1866 أو أحكام قانون الأحوال الشخصية لعام 1919.

2- العمل على إضعاف الشعور الإسلامي لدى القبائل ونشر المسيحية بينهم بحيث انطلق منظرو المشروع الاستعماري وهي مقدماتهم بعض رجال «كنيسة أفريقيا» في سعيهم لتعديد العقيدة الإسلامية والتعهد لنشر المسيحية بين القبائل من منطلقات غاية في السذاجة، فقد اعتبروا أن إسلام البربر - وخاصة القبائل منهم - إسلام سطحي وأن عقيدتهم الأصلية هي المسيحية، وأن على فرنسا أن تساعدهم على «تحريرها» وأنشأوا يهودون من وراء ذلك إلى القضاء على العامل المشترك والمركبة التي لا انفصام بين البحر ترويض والعروة الوثقى التي تشد الجزائر وبقي أقاليم شمال إلى روج الشرق العربي (2)، فامتسوت الإدارة الفرنسية «الإسلام» صوبها الأول في الجزائر، مما جعلها تتمد إلى محاصرة الكتابات القرآنية وتحارب من يحاول تعليم العربية باعتبارها لغة القرآن وسيلة لفهم العقيدة وانتقله في الدين، وقد انتهى الأمر بالإدارة الفرنسية، سنة 1901، إلى سن قانون يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية لا يسمح بتعليمها إلا بتصريح خاص.

ومع المقاومة التي أبدتها (وأيضا بلاد القبائل - في الحفاظ على تعليم القرآن وأحكام الدين، وهي توعية السكان بمخاطر الحركة التبشيرية - اتخذ النشاط التبشيري بلاد القبائل في بدايته طابع أعمال طيرية وخدمات صحية وتعليمية، فبادرت المؤسسة التبشيرية برئاسة الأسقف لافيجري إلى تقديم يد العون والمساعدة للمحتاجين وتوفير التعليم في المؤسسات الدينية، وقد وجدت فرصة سانحة في مجاعة 1867، هذه المجاعة التي ذهب ضحيتها ما يقدر بربع سكان الجزائر ومنهم عشرات الآلاف في بلاد القبائل، فخصصت الأسقفية إعانات للمتضررين قدرت بـ 80000 فرنك جمعت بالاستئمان بالسلط الكنسي بفرنسا، وهذا ما سمح بجمع 1752 طفلاً يتيماً تتراوح أعمارهم بين ثمانين وعشر سنوات من بلاد القبائل، ووفرت لهم المأوى والمدرسة بعد تعميمهم ولقبتهم ميادى الدين المسيحي (3).

ولم ينته القرن التاسع عشر حتى أنشئت ثلاثون كنيسة ببلاد القبائل وقتحت سبعة عشر مدرسة التبشيرية بها 2168 طفلا موزعين على 70 قسما دراسيا يعلم بها 21 راهبا من الإخوة البهيم، 50 راهبة من الأخوات البييم، موزعة على العديد من قرى بلاد القبائل منها: الواضحة (1878)، بني اسماعيل، جامعة الصهاريج، بني مقلات، إينيل علي، القصور، عزوز، تيزي أوزو، والد عيسى، القرو (1928).<sup>11</sup> وهذا ما سمح بهما بعد بتفريخ عدد أكبر من ذوي الثقافة الفرنسية المنتمين لمتطلبات الحضارة الغربية والبعيد عن كل انتماء عربي أو إسلامي.

لم يحقق النشاط التبشيري في بلاد القبائل مكاسب معتبرة فلم يعتنق المسيحية إلا أفراد قليلون أغلبهم اندمج في المجتمع الفرنسي بعد حصولهم على الجنسية الفرنسية ولم يعودوا يعتبرون أنفسهم من القبائل الذين ظلوا على دينهم، لأن المجتمع القبائلي رفضهم واعتبرهم كفارا وموثقين لا يجوز التعامل معهم بل لم يسمح لهم بأن يدفوا في مقابر المسلمين، أما الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية وتخلوا عن كل أحكام الشريعة الإسلامية فقد اعتبرهم الإدارة الفرنسية كإطفي الجزائريين وهم نخسهم وألغى عنهم في مداناتهم بالقانون الفرنسي، كما حدث في الانتفاضة الحربية **بالقبائل التي رفضت** شتمتها الفرنسيون حتى لا يكون المسلمون أغلبية بالجلسات الشائبة، رغم أن أغلب العائدين بقا كاثولا من القبائل المتجنسين الذين تخلوا عن أهوالهم الشخصية الإسلامية.<sup>12</sup>

1- دمج القبائل في بوتقة الحضارة الغربية وتمكينهم في المجتمع الفرنسي وتسطيرهم لخدمة الصالح الفرنسية هي شعار إفريقيا بدعوى أنهم أقرب إلى الفرنسيين منهم إلى باقي الجزائريين في أصواتهم وعاداتهم وقدراتهم وفنانيهم. فالشعب القبائلي - حسب أقوالهم - سليل سكان فرنسا الأصليين من الغالين والرومان، وهذا ما جعله متقبلا لمطبعة الحضارة الفرنسية، فاعتبر الكاتب الفرنسي أليكسي دو توكفيل (A. de Tocqueville)، أن: «بلاد القبائل وإن كانت متخلفة أصليا إلا أن نفوسهم وضمائرهم سكانها القبائل متقبلة للتأثير»،<sup>13</sup> وجزاء في ذلك التعهد أندري (Cubertel Andrieu) الذي كان يرى أن: «القبائل هم أكثر قربا من شعب فرنسا وإن التفاهم القبائل معهم ممكن الوصول إليه بكل سهولة».<sup>14</sup>

بهذا التوجه اعتبر دعاة المشروع الاستعماري الفرنسي ببلاد القبائل أن أحسن وسيلة لاستيعاب القبائل وصهرهم في بوتقة المجتمع الغربي هي نشر التعليم الفرنسي بينهم بعد أن فشلت محاولات التصير، فبدأت عملية فرضية بلاد القبائل باكرا عندما بادرت حكومة جول فيري (Jules Ferry) بفتح أربع مدارس موهبة بالمدارس الولاية، هي كل من تاسنازيوت وجامعة الصهاريج وتيزي راشد والويزيرت ميمور وأزفون لتكون نموذجا للمدرسة اللاتينية الفرنسية المكلفة بنشر الثقافة والفهم الفرنسية في المراكز السكانية لبلاد القبائل.<sup>15</sup> ووفرت

هذه المؤسسات التعليمية النموذجية - مع العديد من المدارس البلدية الشهيرة التي أنشئت في قرى بلاد القبائل - التعليم الفرنسي لغالبية الأطفال ببلاد القبائل، بحيث رفعت نسبة المتدربين بمنطقة القبائل إلى مستويات لم تعرف في غيرها من الأقاليم الجزائرية، فأصبح لكل 2100 طفل مدرسة فرنسية ببلاد القبائل سنة 1882 في مقابل مدرسة واحدة لكل 27000 في منطقة الجزائر العاصمة و 10000 في ناحية عنابة رغم كون هاتين المنطقتين عرفتا تركزا للعناصر الأوربية وتطورا اقتصاديا ملحوظا.<sup>37</sup>

تركزت مساهمة مخططي السياسة البربرية الفرنسية في الجزائر على وضع إطار كقبول بالوقوف في وجه المد العربي الإسلامي الذي بدأ يفرض نفسه مع تصاعد الحركة الوطنية الجزائرية في العشرينيات والثلاثينيات، فظهرت في منتصف القرن التاسع عشر فكرة تأكيد الطابع البربري لشمال أفريقيا على أن تكون أولى حلقاته حسب هذا المخطط، صيغ الجزائر بطابع قبائلي (Kabylisation de l'Algérie)، لكن هذا المصم مع تحولته إلى فتاعة لدى المهتمين بالتبصريات من إداريين وحسابات فرنسيين، أنه يجب أن تلقت هذه الإدارة الفرنسية بعد إلغاء الحكم العسكري بالجزائر مع سقوط حكم ديلبون الثالث وتعهد المهتمين الفرنسيين في مقابلة الأمور بالجزائر (1880).<sup>38</sup> فلم بعد دعاء البربرية من الفرنسيين بدأ من تعديل موقفهم وطرح فكرة إشغالهم للتبصرين فرنسا وبين القبائل باعتبارهم ممثلي القضية البربرية في شمال أفريقيا، فاستقبل شمال أفريقيا في نظريتهم يقوم على تكوين تحالف فرنسي-قبائلي كمثل تشكيل محور شمال-شمال جنوب يجعل شمال أفريقيا جزءا مكمل لأوروبا الجنوبية بشريا واقتصاديا وحضاريا، وهذا ما صير عنه لمراسن معنوق في أحد الداعمين لهذه الفكرة بقوله: «إن بلاد البربر (شمال أفريقيا) لم تكن شرقا ولم تكن إلا بعيدة عنه... وإن علاقتنا مع القارة الأوروبية لم تفتأ عبر القرون لتقارب وثائق لتصبح الوسيط الذي لا يمكن الاستغناء عنه بين أوروبا الغربية وغرب أفريقيا، وهذه العلاقة تقوم على محور شمال جنوب القائم على التضامن، والذي سوف يكون له دور بارز في حركة العالم. فالمستقبل يكمن في أوروبا-أفريقية (Eura-Africaine) أو الولايات المتحدة الأوروبية الأفريقية... وإن الماضي بظاهره، كما أن الحاضر بعلاقاته المعقدة يجعل ذلك في حكم اليقين»<sup>39</sup>. والفكرة نفسها أخذها أحد المؤثرين في السياسة الفرنسية الجزائر الجنرال أندري مواله: «إن سكان شمال أفريقيا قد عرفوا أن مصالحهم الحقيقية هي الانضمام إلى محور شمال جنوب القائم على فكرة «التوسطية الغربية»، وليس محور شرقي غربي الذي ما فتئ البربر يرفضونه عبر التاريخ، وإن وجود المهاجرين من القبائل بفرنسا لدليل على التواصل الفرنسي القبائلي الذي سوف يؤسس لشراكة حقيقية فرنسية-قبائلية نابعة من رغبة الجانبين لتحقيق قائمة الطموح»<sup>40</sup>.



## العملية الترميمية في الجزائر

ولم يلبث هذا التوجه الفاعل على التحالف الفرنسي القبائلي أن اتخذ طابعا ثقافيا بعد أن امتحان تحفوطه الاقتصادية وسياسيا نظرا لطبيعة الاستعمار الفرنسي وتساعد الد الوطنية في إظهار شمال أفريقيا، فوجدوا نوعيا عن ذلك في الإنتاج الأدبي الفرنسي الذي ساهم به كتاب جزائريون من منطقة القبائل محل تقدير وتبويه لكونه يؤكد التواصل المشترك بين المجموعة القبائلية والفرنسية، وهذا ما تلاحظه بوضوح في تلك التطبيقات الأدبية حول قصة «الربوة المسية» (La colline ensablée) لوالها مولود معمري كما سوف نتطرق إليه لاحقا عند تعريفنا لواقع النطبة البربرية في الجزائر.

3- العمل على تطوير الشبان البربري وخاصة اللهجة القبائلية لتكون لغة منافسة للغة العربية ومشاركة مع الثقافة الفرنسية، بحيث توحى اهتمام دأري البربريات في الجزائر إلى محاولة وضع قواعد للهجات البربرية العديدة في محاولة لضبط دلالاتها وتكوين قواميس لفرداتها، فاعتبرا بنشر مخطوط هانكور دو بارادي (Vernac de Paradis) حول قواعد ومفردات اللغة البربرية سنة 1811<sup>11</sup>، وأحمد الصالح بروسنار (Brousseau) نفسه لتضع قاموسا فرنسيا بربريا بالاستعانة بأحد المؤرخين السابقين سي سيدي أحمد بن الحاج علي<sup>12</sup>، وأحدث بمدرسة الآداب الجزائرية كروسي دراسة للهجات البربرية سنة 1885<sup>13</sup>، شبعته سي الهاشمي بن سي لونيس، ثم عزيه سي السعيد الواسمي (1906)<sup>14</sup>، يقول في صلب هذه الأولية في معرفة القسطن القبائلي بأن الحاصل عنها عبارة مالية سبوية فيمتلأها 200 فرك وإعطاه شهادة عليا في اللهجات البربرية تقول التحصيل بأنها حق الاستماع بصفة سبوية حدود 500 فرك، كما أحدثت جوائز لشجعية عام 1887 لترغيب التوفيق الفرنسيين في معرفة القبائلية<sup>15</sup>.

هذا وقد ألت هذه الجهود أكلها، فلم يشه القرن التاسع عشر حتى ظهرت العديد من الدراسات حول اللهجات البربرية خاصة القبائلية منها، فكانت متطلبا لعمل الجيل الثاني من دأري البربريات (1900 - 1916)<sup>16</sup> وهي مقدمتهم هنري ناسبي (H. Basset) صاحب الأطروحة الشهيرة حول الألف البربري (1920)<sup>17</sup> وألنه أنري ناسبي (A. Basset) وديستانغ (Destang) وهنري لاوست (H. Laoust) وبارمي (Barmy) وإدمون دوليه (Ed. Douville) وغيرهم، الأمر الذي وفر إشارا للدراسات البربرية التي سوف تقوم عليها المحاولات المتأخرة للباحثين والمهتمين بالثقافة البربري في مركز أبحاث الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والإثنوجرافيا بالجزائر (C.R.A.P.E) ومدرسة اللغات الشرقية (E.L.O) التابعة لجامعة باريس الثامنة ومطير البحث العلمي (C.N.R.S) وإيكس إن بروفانس ومؤسسة الأكاديمية البربرية بباريس التي ظهرت سنة 1977.

ورغم تلك الجهود فإن الباحثين الفرنسيين في مجال الدراسات البربرية ومن التحق بهم من الجزائريين أمثال مولود معمري (1977 - 1992) وسليم شاكور قد ظلوا هاجزين عن

التغلب على الصعوبات الجمة التي واجهتهم وحالت دون وضع قواعد محددة وقوانين عملية للهجات البربرية ولم تسمح لهم بالاتفاق حول حروف مشتركة بين اللهجات البربرية، وهذا ما أبهى التراث البربري بمختلف لهجاته ثقافة شقوية غير فائزة على تجاوز اللغة العربية أو مناهضة اللغة الفرنسية، ولعل أهم تلك المواقف تكمن في تعدد اللهجات البربرية من حيث النطق والدلالة المعنوية واعتماد بيئاتها جغرافيا عن بعضها البعض وتراجعها أمام اللغة العربية الدارجة في كثير من الجهات بفعل عملية التعريب الذاتي التي تعيشها مجتمعات شمال إفريقيا منذ القرن التاسع عشر، وهذا ما لاحظته غوتيه في تقريره الذي وضعه بطلب من الإدارة الفرنسية سنة 1910<sup>11</sup>، والذي كان منار هلق السلطات الفرنسية،

كل هذه الظروف والأوضاع جعلت المهتمين والدارسين للبربريات من ذوي الثقافة الفرنسية يستعملون الفرنسية وسيلة لتعليم اللهجات البربرية وأداة للتعبير عن الثقافة الشقوية التي تحملها، الأمر الذي عمق ظاهرة التفرس بين دعام البربرية أنفسهم، ولم يسمح بظهور إنتاج أدبي مكتوب وقابل للتطور مثل اللهجات، وذلك طغت الدراسة البربرية عاجزة عن ملء الفضاء الثقافي في الجزائر الذي احتلته العربية على المستوى الشعبي والفرنسية على مستوى النخبة، وهذا ما دفع دعام البربرية في الجزائر بعد توسع عملية التعريب الرسمي من طريق المدرسة إلى اعتبار اللغة الفرنسية اللغة الأخرى الذي يشهرون في الأوساط في محيط نسود فيه اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

لقد أصبح هذا الوضع الذي تعيشه اللهجات البربرية اليوم ميمنة لدعام البربرية، فبعد أن ناقضوا ميّاسها من أجل مطلب اعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية قابلة للاستعمال والتدريس بجانب العربية وبدأوا أنفسهم عاجزين أمام دمازيغيته عديدة غير موحدة في مفرداتها وحروف كتابتها، فكل مجموعة بربرية متمسكة بلهجتها ولا ترضى بالتنازل عنها لفائدة لهجة أخرى كما أوضح ذلك الكاتب القبري رشيد إدريسي<sup>12</sup>، وهذا ما أثاره ملتقى اللغة البربرية المنعقد بفراداية (26-27 أبريل 1991)، وشكل لدراسة ثلاث لجان إحصاءا تظهر في المعاجم والقواميس والأخرى في المعطيات التاريخية والثالثة في مسألة الكتابة واتخذت دون أن نشفي إلى نتيجة، مما جعل إحدى الحزائن الجزائرية تعلق على الملتقى بأنه «اتحصار كبير لأقلية لا تفهم بعضها لاختلاف لهجاتها»<sup>13</sup>.

والحقيقة أنه لا يمكن إيجاد حل لهذه الوضعية إلا بالإجابة عن العديد من الأسئلة التي لم تجد جوابا مقنعا حتى الآن، ولعل أكثرها إلحاحا على دارسي البربريات هذه التساؤلات:

- كيف يمكن توحيد اللهجات البربرية في لغة أمازيغية واحدة، وكتابتها بحروف متعارف عليها ومتفق عليها؟

## الهجاء البربري مع الزوايا

- ما اللهجة النجدة لأن تكون منطوقا لذلك، وما نوعية الحروف التي يمكن أن يتفق عليها الجميع؟ وما المدى الزمني الذي يسمح بتطور إحدى اللهجات البربرية لتصل إلى مستوى منافسة العربية وتعويض اللغة الفرنسية؟
- وهل من الممكن تطبيق الفرنسية في الفضاء الثقافي للجزائر لفائدة الأمازيغية وليس على حساب العربية؟
- وكيف يكون التعامل مع الثقافة العربية المرتبطة بالثقافة الإسلامية والمنسجمة بالبعد الوطني والتي تعرف توسعا وتطورا ملحوظا، لا يمكن إغفاله لصالح ثقافة أخرى أو لغة منافسة معها كانت محبها ومنطلقاتها ومواقفها؟

## ج- في الفعل الجزائري هل السياسة البربرية لفرنسا

- لم تحقق الإدارة الفرنسية في الجزائر ما كانت تأمله من تقسيم السكان وتصنيفهم إلى قبائل وعرب، كما لم تمنح دعاء البربرية من الوطني والمسلح والسياسي الثمرات «وخلصهم من الفرنسيين» فيما كانوا يسمون إليه من حق وضع شعبي وانعما في بلاد القبائل فأنم على تكوين هوية بربرية معادية للعربية ومتحسسة من الإسلام ومقتضية للغة والثقافة الفرنسية. إذ اعتدت غالبية سكان بلاد القبائل عن معارضة عاد البربرية فيما كانوا يسمون إليه.
- وقد كان الفضل في فشل السياسة البربرية الفرنسية في بلاد القبائل يعود أساسا إلى نشاط زوايا بلاد القبائل ودعاء لإصلاح من رجال زوايا الذين سجلوا صفحات طائفة في الدفاع عن هوية الجزائر لا تقل عن تلك التضحيات التي بذلوها في مواجعة التوسع الفرنسي ببلاد القبائل في منتصف القرن التاسع عشر.
- لقد وقفت زوايا بلاد القبائل سدا منيعا أمام دعاء السياسة البربرية، فكانت بحق الخط الدفاعي المتقدم عن شطرنجية الشعب الجزائري الذي نجحت عليه المحاولات الأولى للفرنسية والتسليم للشعوب بالعداء العنصري للعربية والإسلام. فكانت زوايا بلاد القبائل التي نافذ عندها الأبردين وهي ملكيتها زوايا سيدي عبد الرحمن اليلوي وسيدي علي بن الشريف وسيدي منصور وسيدي محمد بوقريز بايت إسماعيل وسيدي علي بن موسى وسيدي علي فوقاس وسيدي أحمد بن إدريس والشيخ اعراب والولاد مصباح وسدوق وناظرة وشي وزنقان وغيرها<sup>14</sup>.
- هذه حافظت هذه الزوايا على التقاليد الشيعية التي نقر بأن المبرر أصولهم عربية وأن قسما منهم من ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة والمؤثرين في الرأي العام هم من العرب الشرفاء. كما كانت هذه الزوايا أيضا مشتتة لتخريج حفظة القرآن العظيم الذين انتشروا في أنحاء الجزائر كلها يعلمون القرآن في الكتاتيب ويحافظون على العبادات يديون إلى الأخلاق السامية في المجتمع الجزائري الذي انتشرت فيه أذاك الأمية وهم الظفر والشفاء.

ومن زوايا بلاد القبائل رفعت المرافض الأولى التي تستلزم استبدال أحكام العرف القبائلي بأحكام الشرع. ومنها تلك العريضة التي وجهها جمع من شيوخ القبائل إلى الإدارة الفرنسية يستذكرون فيها اعتماد العرف المحلي المعروف بـ « القانون القبلي » لنطقهم ويطالبون بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية. وهذا ما علق عليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بقوله: « إن عريضة رجال زواوة الطائفة بإلغاء القوانين المحلية الخاصة بالأحوال الشخصية ... احتشدت القوس من أسلحة، وأقامت الدليل على القنوقين بالظواهر على أن زواوة معقل من معقل الإسلام والعروبة، كانت ولا زالت، وأكرم بأصحاب الزوايا حين ينتصرون للدين هذا الانتصار، صوتاً مع صوتكم، ورائياً مع رائتكم في الرجوع إلى الأصل وهو حكم الشرع الإسلامي<sup>(١٢٦)</sup> ».

ولقد تعززت جهود الزوايا في المحافظة على الشخصية الإسلامية ببلاد القبائل بنشاط الحركة الإسلامية في الجزائر المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٢٦ - ١٩٥٦) إذ نبع، إلى آثار المخطط الفرنسي بمنطقة القبائل أحد رواد جمعية العلماء وهو أحمد توفيق المدني في مطبع ثلاثينيات (١٩٣٣) بتولته ... نشر بلاد الجزائر المسماة ببلاد القبائل الكبرى وهم يمثلون الكتلة البربرية المطيعة ببلاد الجزائر ... أصبحت العربية فيهم ضعيفة جداً. والتعليم العربي الديني أصبح شحيحاً جداً. استمرار مقلد الكبري (الزوايا)، والمدارس اللاتينية تحت التسمية (المونسي) هذه ... بصورة منهجية منظمة التطوير بالقطر الجزائري، ورجال التبشير حثوا هناك رجالهم وشيوخاً مدرسين للدين والبنات ... والتي وإن كنت كثير التفوق بمستند الإسلام في الجزائر فري الإيمان بالهوية العربية الإسلامية الحديثة، فإني أفتي على هذا القسم من بلاد الوطن أن تعيد به الأيدي، وأن ينقضي حبل اتحاد مع بقية البلاد. فإلى تلك الناحية يجب أن تلتفت أنظار الفكرين والعلماء المسلمين<sup>(١٢٧)</sup>. ولم يفت الشيوخ البشير الإبراهيمي كذلك فطرح المخطط الفرنسي ببلاد القبائل عندما علق على الإجراءات الفرنسية ضد الأحكام الإسلامية بقوله: « إن الحكم بالمعوقه مطلب عزيز من مطلب الاستعمار الفرنسي. زوج بنوره في أرض زواوة، وتعهدها بالنسقي والعلاج. فبانت تمكن المعوقه وجعلها أساساً للأحكام وإبعاد طوائف المسلمين عن الإسلام بالتدريج، حتى تضعف الحركة الدينية وعاطفة النأخي الإسلامي، وتعتبر الأمة الواحدة أمتين وأما<sup>(١٢٨)</sup> ».

وبالفعل لم يتردد الرجل الأول من رجال الإصلاح من أبناء منطقة القبائل عن مواجهة السياسة البربرية بالمنطقة، فتحصوا في إنشاء ثلاثين مدرسة ملكت تعلم النشء اللغة العربية والفقعة الإسلامية حتى عام ١٩٥٦. كما دأبوا على توعية العامة وتنظيم حلقات الوصف والإرشاد في المساجد. واستطاعوا أن يكرسوا خلاص من الشباب متمسكة بالإسلام ومعتزة بالثقافة العربية، ومن هؤلاء الرجال الذين خدموا الجزائر في صمت وكسروا حياتهم لخدمة الإسلام في الجزائر نذكر على سبيل المثال السعيد بن زكري (ت. ١٩٣٠) وأزفي الشرفاوي (ت. ١٩٦٥) وأبو بعل

## الجماعة الجزائرية مع الزواوي

الزواوي (ت. 1967) والولود الحافظي والفضيل الورتلاني ويحيى حمودي الورتلاني والهادي الزروقي وعلي أولخير الواقوني والصالح عيسات وحسن حموش والعربي عيسى المصمودي والسعيد البهولي الورتلاني وعبد الله شريفي أوشاش والسعيد بن عمر القزواوي والشيخ سحنون أمقران والشيخ عبد الرحمن شيبان وإسماعيل العري وكثيرون غيرهم.<sup>1</sup>

وكان الدافع لرحال الإصلاح ببلاد القبائل خدمة الدين والوطن والدفاع عن بيضة الإسلام المنهضمة الجناح، وقد عبر عن ذلك الشيخ سعيد بن عمر القزواوي في خطبته بتاريخ الترفي بالجزائر العاصمة في أثناء انعقاد مؤتمر جمعية العلماء (1925) بهذه العبارة: «... ما أراد بنا الله التعميد بذلك بنا والحمد لله والشكر له سبيل الرشاد والطريق الجادة الصحيحة، ألا وهي ما ندعو جمعية العلماء إليه... تلك الجمعية جمعية أيقظتنا... يا أيها الأمة الجزائرية المسكونة الطافدة لجدها الضالة في معيها الخاملة العالقة هلمي إلى دواء نافع وشراب عذب نافع... ما عليه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح... تقويز بخير الدنيا وسعادة الآخرة»<sup>2</sup>.

وقد اتخذت جمعية العلماء مؤلما صريحا من السياسة البربرية للإدارة الفرنسية عندما حددت شعار مشروعيها الإصلاح في العمل على الدفاع عن ثوابت الدين واكفلة والوطن في عبارة: «الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا» والذي خلفه الإمام عبد الحميد بن باديس في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

شعب الجزائر سطر      وإلى العروبة ينسب  
من قال حلا عن اجتهاد      لو قال مات فقد كذب<sup>3</sup>

وأكدته شهادة الشيخ البشير الإبراهيمي عن عروبة البربر بقوله: «... إن القبائل مسلمون عرب وكتلهم القرآن يقرأونه بالعربية، ولا يرضون بديتهم ولا بلغتهم بدلا. ولكن الظالمين لا يفتلون...»<sup>4</sup>.

وتعززت جهود جمعية العلماء المسلمين بالنشاط السياسي لمنظمة النجم (E.N.A.) (1925 - 1927) وحزب الشعب (P.P.A.) (1927-1946) وحركة انتماء الحريات الديمقراطية (M.T.L.D.) (1946 - 1954) التي تبنت منذ إنشائها عن المثاليات الشبهوعي (1927) مبدأ المقاومة السياسية من أجل استرجاع الميادين الوطنية القائمة على الثوابت الحضارية للشعب الجزائري المتمثلة في العقيدة الإسلامية واللغة العربية، واعتبر التيار الاستقلالي في الحركة الوطنية الجزائرية أن من أولى مهامه المطالبة بتعليم العربية تعليما إجباريا، فأقرها برنامجها الأساسي (1927)<sup>5</sup> ولم يتوان عن إنشاء المدارس على غرار جمعية العلماء للتعليم العربية. ولم يتروك في التشهير والتهميد بالشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر القائم على فكرة تقسيم الجزائريين وتزييق صفوفهم. وقد أكد هذا التوجه أحد المناضلين في حزب الشعب

الشاعر المبدع مفدي زكريا أحد أبناء الثورة عندما حدد أهداف النضال السياسي لأبناء المغرب العربي في خطابه بتونس عام 1971 في عبارته الشهيرة: «الإسلام ديننا وشمال إفريقيا وطننا والعربية لغتنا»<sup>134</sup>.

والعل في خطبة مصالي الحاج في 2 أغسطس 1926 - ردا على مطالب المؤتمر الإسلامي التي سلّمت بعدها اندماج الجزائر في فرنسا - ما يوضح نمسك الحركة السياسية الوطنية الجزائرية المتمسكة في منظمة النجم وحزب الشعب ثلوات الشعب الجزائري، فقد جاء في هذه الخطبة الشهيرة لمصالي في جموع المتحمسون في الكعب اليلدي لدينة الجزائر (الغناصر) ما يلي: «احتراما للثالثا الوطنية اللغة العربية والتي كفا نعتز بها ونعجب بها... وأيضا تقديرنا لبل هذا الشعب الجزائري الشجاع الكريم... فقد اردت أن أعبر أمامكم بعد نفي دام اثني عشرة سنة بلفظي الأمة»<sup>135</sup>.

وقد كان لحزب الشعب وحركة اقتصاد الحريات الديمقراطية بزعامة مصالي الحاج دور مهم في وضع حد لتسلط دولة البربرية الذي تسلّوا إلى خلافة العرب وتحكموا في أجهزته، بفرنسا خاصة، فيما سوف يستمره لاحقا بعد تمرسنة أنظمة البربرية لحزب الشعب منفي 1968 و 1969. كما كان للمدلسي الوطني من الفيلسوف دور أساسي في فضح دساتير دولة البربرية والتفوية إلى مخاطر السياسة البربرية للإدارة الموحدة ومطويع الوطني المناضل عمار أوزيغان الذي فضح أيضا هذه المخطط لتسلطه في الخطبة الفرنسية عروبي-بربري عند الاستعمارين تعبر عن فكرة العدم من بين التمييز والتفريق والتفريق، وأيضا فإن مبدأ التفرقة البربرية هو التجربة الاستعمارية الذي يقدم في شكل حقائق قاتكة معارضة للعرب<sup>136</sup>.

هذا وقد أصبحت الثورة الجزائرية النضال ضد ميمنة التفرقة الاستعمارية المتمسكة في المسألة البربرية، فتجسدت في توحيد الشعب الجزائري والقضاء على الرواسب الاستعمارية ولو ظاهريا، واستطاعت أن تستقطب العناصر الجيدة والطاعة في المجتمع وأن تحيّد الخطبة البربرية وأن تجتذب أفضل عناصرها لتجنيدتها في المشروع التحرري انطلاقا من نداء أول نوفمبر الذي حدد عقليته الأول في العمل من أجل إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية<sup>137</sup>.

كند كان لرجال منطقة القبائل مساهمة معتبرة ودور أساسي في الثورة التحريرية، وهذا ما جعل الفرنسيين يسمون ما كانوا يخططون له ليقطبوا على القبائل ويعنونوا حينهم قتلا وتدمير<sup>138</sup>، ولقناريخ، فإن جهود رجال الثورة ببلاد القبائل كانت واحدة في إسقاط المشروع الاستعماري وفي رمي صفوف الشعب الجزائري، فاعتبر هؤلاء المجاهدون أن أي دعوة لتفريق الصفوف بمنزلة خيانة للوطن. كما عرف عن كل من كريم بلقاسم ومحمدي المسعود وعبدروش آيت حمودة ومحمد ولد الحاج وعبد الرحمن ميرة ويوسف الهلالي وغيرهم كثيرون، وقد

## العملية البربرية في الجزائر

كانت جهود العقيد عميروش ذات بعد استراتيجي عندما صمم على تصفية الطابور الخامس في الولاية الثالثة وباشر بإرسال وفود الطلبة إلى المشرق لتكون إشارات تصاعد على إقامة دولة عصرية حرة ذات شخصية إسلامية وهوية عربية، وبالتفعل فقد عاد الكثير منهم بعد استكمال تعليمهم بالشرق وساهموا في بناء مؤسسات الدولة الجزائرية وعملوا جاهدين على المحافظة على هويتها العربية الإسلامية، منهم الأستاذ محمد الشريف طروبي ابن إحدى زوايا بلاد القبائل وتلميذ جمعية العلماء المسلمين والذي كان له شرف تطبيق برامج المدرسة الأساسية التي وضعت حدا لهيمنة اللغة الفرنسية على المدرسة الجزائرية ووجد التعليم واستكمل تعليمه، وهذا ما جعله عرضة لنقمة الأوساط الفرنسية التي شوهت بتصفية بثقافته العربية إلى حد وصفه بأنه كان يرفض التحدث بالقبائلية حتى مع معاصريه<sup>(١٢)</sup>.

كل هذه الجهود استطاعت إحباط المشروع الاستعماري القائم على السياسة البربرية بل أدت إلى نتائج مفككة له، فقد عمقت الروح الإسلامية وساعدت على انتشار اللغة العربية وتلاحم أفراد الشعب الجزائري قبائل وغير قبائل، وهذا ما استخلصه المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون في دراسته لسياسة البربرية لمرسنة عندما اعتبر أن «السياسة البربرية لفرنسا في الجزائر كان لها المثل إذ لم تعمل سوى على تقويض الجزائريين وتوحيدهم وتكاتفهم»<sup>(١٣)</sup>.

## د- النتيجة البربرية بالجزائر

أثمرت جهود الإدارة الفرنسية ومساعدتي الضباط الفرنسيين في نقل الفكرة البربرية من أرواح الإدارة الفرنسية ومن مكاتب دواشي البربريات إلى شريحة من المثقفين الجزائريين للتفرنسين من بلاد القبائل<sup>(١٤)</sup>، تخرج منهم من المدارس اللائكية والمؤسسات التبشيرية، وقد كان في طليعة هؤلاء المجموعة الأولى التي تكونت بمدرسة المعلمين ببوزريعة (الجزائر) وشكلت ما يعرف بتعليم الفرنسية القبائل (Instituteurs) (Raboties)، ومنهم حسين لحيق وفرعون والسعيد بوابطة وفرياني والشريف بن حبيلس ومن سديرة وغيرهم ممن وجدوا في مشرة التعليم الأهلي، (Bulletin de l'enseignement des indigènes) سيرا يعيرون فيه عن مواقفهم وقضاعاتهم، ولم تلبث أن تفرزت صفوف هذه المجموعات مع لعرج أعداد كثيرة من مثقفي الفكرة البربرية من طلاب المدارس الثانوية وخريجي جامعة الجزائر وبعض الجامعات الفرنسية، فأصبحوا مع نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) يشكلون نخبة ذات ميول بربرية فرضت حضورها ببلاد القبائل وتأثيرها في أوساط المهاجرين القبائل بفرنسا.

ومع هذا التطور ظل تأثير النخبة البربرية محدودا في فترة ما بين الحربين (١٩١٩ - ١٩٢٩) بعد أن رأى فيها سكان القبائل مجرد مجموعة من الأفراد القنطريين المصطبغين

بالتقافة الفرنسية والتشجيعين لها. ومما زاد في عزلة هذه الجماعة الفرنكوفونية (If-rançophones) ذات النزعة البربرية تأثيرها بالحركة النيشيورية وتقبلها لفكرة التجنس وإيمانها الأعنى بالبلدات اللاتينية والقيم العثمانية ومزجها بين تعويد الناضى البربري والواقع الاستعماري الفرنسي وارتباط تصوروا للهوية البربرية بالنزعة الفرنكوفونية، على أن هذه النخبة رغم ابتعادها عن أوساط الشعب فإنها وجدت الترحيب والتتويه من الفرنسيين الذين اعتبروا ظهورها تكريسا لتبجح السياسة الفرنسية الجديدة بالجزائر القائمة على تكوين نخبة تمثل الطبقة الوسطى وترتبط بالخدمات التعليمية والاجتماعية، وبدأ الحديث في وسائل الإعلام الفرنسية بما أطلقوا عليه تسمية «المجزرة القبائلية» (Massacre Maltais) التي انبثقت من جهود المعلم القبائلي (Maître d'école) المعروف محليا بـ المهد وكول، من أبناء بني بني وتيزي وأشد، واعتبروا أن السياسة الفرنسية في الجزائر سوف تعدد معالم المستقبل وتتحكم في توجه الجزائر<sup>(1)</sup>.

لكن التطورات التي عرفتها الجزائر من خلال مشاتل الحركة الوطنية السياسية والإصلاحية لم تسمح لمطوري السياسة البربرية، من الفرنسيين ومن تأثيرهم، بأن يحتفظوا ما كانوا يأملونه بعد أن عجزوا عن نشر أفكارهم بين سكان بلاد القبائل ولم يستطيعوا الحد من تأثير النزوات ودعوة جمعية العلماء لتسريح الجزائريين وسفط سطوة النجم وبمعدا حزب الشعب، فلم يجدوا بدا من الانسواء على أنفسهم مع التحدث بأفكارهم التي تحاولت مع الوقت أن تتألف إيديولوجية غير قائمة للمراعاة وأفكار من قبل التسلطات التي لا تقبل النقاش، هي وإن كانت في مجملها تغير عن المبادئ التي قامت عليها سياسة فرنسا البربرية إلا أنها صبحت تهدف إلى بلورة موقف متميز معاد للثوابت الشعب الجزائري المتمثلة في أخوة الوطن عقيدة الإسلام وثقافته، ويمكن تحديد أفكار ومبادئ الدعوة البربرية كما تمثلتها النخبة البربرية في النقاط التالية:

1- اتخذ دعاة البربرية مبدأ معاديا للثقافة العربية باعتبارها عوامل عدم الهوية البربرية طمس للتراث البربري، وقد أدى بهم هذا الموقف إلى حد تجاهل الناضى الإسلامي للجزائر ورجالته وإثرائه ومساهمته ودهمهم ذلك إلى القيام بعملية عنائية ضد اللغة العربية التي صبحت محل تشهير وسفوية واعتبرت في نظريهم عنوان لآخر ورجعية، فضلا عن كونها لغة غزاة ووسيلة قمع وحذف تعارض ضد الطفل القبائلي الذي يرضى عليه تعليمها في المدارس. وقد ذهب نحواسن معنوطي، وهو من خلاة النزعة البربرية، إلى حد اعتبار اللغة العربية لغتين، لغة ميتة، ليس لها سوى القليل من الحيوية، وهي عاجزة عن تكوين مجموعة لغوية متكاملة مثل اللاتينية عند الشعوب المسيحية، ولغة حديثة، استطاعتها الصحافة في المشرق وهي لغة مجهولة لدى سكان شمال أفريقيا الذين قد لا يعرفون مفردة واحدة من ألف كلمة منها. حسب



## العلاقة العربية مع التراث

(عصيم)<sup>1</sup>، وفي هذا التوجه العادي للثقافة العربية توصل فريق الدراسات البربرية بفانسان (فرنسا) بالمدونة البربرية إلى قناعة مفادها: «إن اللغة الأم في الجزائر هي العربية الدارجة والقبائلية والثقافة الحقيقية الجديرة بالاعتناء هي الثقافة الشفوية وإن اللغة العربية الفصحى لغة دخيلة أو مستوردة، وهي في حقيقتها لغة ميتة لم غربية عن المجتمع الجزائري، وليس لها أي صلة بالعربية الدارجة، لأنها تمثل ثقافة بورجوازية مهيمنة ومكرسة للانفصال الاجتماعي والتميز الطبقي. وهذا ما يجعلها تعبر عن الطبقات المهيمنة في المجتمع»<sup>2</sup>.

وهذا الموقف من العربية يثير دعاة البربرية طروحات الشيوعيين الفرنسيين، فعند ظهور الحزب الشيوعي الفرنسي (1920)، اتخذ الشيوعيون موقفا معاديا للغة العربية لا يصيب سوى لأنها لغة التران وحاضنة الفكر الإسلامي والقيم الدينية، مما يكسبها قداسة وبعدا روحيا يتنافى في نظرهم والأفكار التي يدعون إليها. ولهذا السبب دعا الحلب الشيوعيين إلى التحلي من العربية (الفصحى) وتبويضها بالعربية الدارجة والقبائلية والفرنسية باعتبارها اللغات الأم للطفل الجزائري العربي والقبائلي والفرنسي. وهذا ما أصبح يردد الكثيرون من المعادين للعربية ومنهم المفني القبائلي **ابدر الذي** اعتبر اللغة العربية أجنبية عنه محتجا على من يخالفه الرأي بقوله: «كيف أن أمي لا تفهم مشركات الأحمار بالعربية الفصحى على شائفة التظريون الجزائري. وقد يقولون أنها لغة جزائرية»<sup>3</sup>.

2- اعتبار القبائلية لغة الجميع المأطرين بالترسيات وجعلها في موقف ثانوي وهذا مع العربية: وقد انطلقوا من هذا الموقف الزامي إلى السطلي عن العربية وإحلال القبائلية مكانها - من مصلحة نصيحة العلماء - لغة والتسهيلات هي: أن ليس هناك فرق بين اللغة واللهجة وأن كل لهجة تقوم على الأصوات الكلامية وتعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي لتجموعة التي تتكلمها يمكن لها أن ترتقي من مستوى الكلام (الثقافة الشفوية) إلى التعبير عن حاجيات المجتمع ووظائفه الحيوية (اللغة المدونة) فيما يتعلق بالتفاهم والتعامل والتبادل وبالتالي يمكن الارتقاء بشبان تطايط من لهجة إلى لغة ما دامت كل لغة كانت هي أساسها لهجة، دون الأخذ بعين الاعتبار الواقع الثقافي ميلاد الغرب المتميز بتعدد اللهجات البربرية ويكون اللغة العربية أصبحت منذ قرون أداة تفاهم وسيلة تواصل بين الغالبية الساحقة من السكان. ولم يفت الأمر عند دعاة البربرية عند هذا بل ذهبوا إلى حد العمل على تصفية اللسان القبائلي من الألفاظ والمراكيب العربية وتبويضها بالفاظ مشتقة من الفرنسية أو موجودة باللهجة التوارق بحجة عدم تأثرها بالعربية<sup>4</sup>. ولعل نفورهم من اعتماد نحية الإسلام (السلام عليكم) واستبدالها بعبارة «أزول فلاون» دليل على هذا التوجه. رغم أن عبارة تسلام عليكم شائعة في اللهجات البربرية الأخرى. كما أن تفضيل الحروف اللاتيني - الذي له صبغة لائكية مسيحية والتخلي عن حروف اللغة الإسلام (العربية)

الذي استعمله البربر فديما بحجة عالمية الحروف اللاتيني وسهولة استعماله - لدليل أثر على الارتباط الوثيق لبعثة البربرية بالثقافة الغربية وعلى الرغبة التي تدفعهم لقطع الواسع الارتباط بالثقافة العربية والإسلامية.

٢- تفسير التاريخ وفهمه انطلاقا من الموقف المعادي للعاصي العربي الإسلامي للجزائر: بحجة ضرورة مصالحة الجزائر مع هويتها البربرية وعاصيتها الوثني - الذي يرمز إليه ماسينيما - وفيها المسيحية التي يمثلها القديس أوغسطين، فعاولوا تعاضل الفترة الإسلامية من تاريخ الجزائر التي تبدأ بالفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي معطيين أحداثها غير معبرة عن طموحاتهم لارتباطها بالهوية العربية الإسلامية للجزائر، منتقذين من مكانة رجالها ومنزلة أبطالها من أمثال طارق بن زياد والناصر بن علناس وأبو زيد صاحب الحمار ويوسف بن تاشفين ومحمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي الكومي ويغمراسن وأبو حمو والشيخ العبداء والإمام عبد الحميد بن باديس وغيرهم. وأثروا القطر على الفتوحات الإسلامية بالجزائر ليتموا بتشحيصات البربرية لما قبل الإسلام أمثال ماسينيما وبومرعة وفاقفارياس والظافلة وكسيلة، واعتبروهم رموزا للمقاومة الوطنية، وذهب بهم "عصامي" إلى حد استدلال أنه محمد ماسينيما وفاطمة بالكاهنة، فكانوا أشبه شي، بمن يكنى أبو ليغنز بعدد وأبني أمه ليذكر جدته، بل انتهى بهم هذا التوجه إلى حد رفض تسمية المغرب العربي مع كونها مستقلةا ضالع الاستعمال بتجاوب وطموحات شعوب المنطقة باعتبارها حامية من حشدهم وإهانة لشخصيتهم. فالمغرب العربي عند نحواسن معشوقي "مخدعة ساذجة لا يصدقها من سكان شمال أفريقيا من له نرة من عقل، لكون هذا الشمال الأفريقي لم يكن الشرق العربي، بل كان دائما بعيدا عنه"<sup>٣٤</sup>.

وفي هذا السياق كتب أحد دعاة البربرية يستنكر كلمة المغرب العربي: "بما لتخيرية القدر، بالرغم من كونه ليس عربيا لا عرقيا ولا ثقافيا من الأرملة القابضة إلى اليوم... لا يتجاوز العنصر العربي بينهم النسبة القليلة جدا... وإن كان في المجال اللغوي هناك اختراق قوي للغة العربية التي نبتها أطلية بربر التسهول والمصوات وكذلك الفن الكبير، فاليوم هناك خلط بين العربي والناطقين بالعربية، فبهما كانت أكثرية مناطقة بالبربرية فإن ذلك لا يعني كونهم بربرا أصلا بدليل تواجدهم على هذه الأرض منذ ما قبل التاريخ"<sup>٣٥</sup>.

وتوازيا مع تقييمهم لـ "مغرب عربي"، نادوا بـ "شمال أفريقي بربري" تجاوزا الواقع العربي ورجوعا إلى أصله البربري وطرحوا فكرة "الرائطة البربرية" (Pastorale) التي روحت لها، هي المستنبتات (١٩٦٠ - ١٩٧٠)، الأكاديمية البربرية بباريس ووضعت لها اسما مستحددا

## المسألة البربرية في الجزائر

«تتمزغا» على اعتبار أن القضاء البربري يعتد من سيده بصحراء مصر الغربية إلى جزر  
الغالطات (الكثاري) في المحيط الأطلسي، وبذلك أدى التصوير التاريخي للمسألة البربرية إلى  
تجاوز الحدود الأصلية لدول المغرب إلى بعد جغوي يشمل شمال القارة الأفريقية<sup>17</sup>، متجاهلين  
كل منكرين للتلاحم البشري والتواصل العنصراني بين المشرق العربي وبلاد المغرب منذ أقدم  
العصور وحتى الآن.

1- الارتباط بشيم الثقافة الغربية: ففي سمعهم من أجل إحياء الثقة البربرية والحفاظ على  
عظمتها واستمرارها وتعليمها، حرصوا على رفع شعارات المواطنة واللائكية والديمقراطية  
وربطوا دوتهم بالفهم اللاتيني وحقوق الإنسان وحق الاختلاف التي اعتبروها من الشروط  
الضرورية التي تسمح لهم بتطوير شخصيتهم وإحياء ثقافتهم بعيدا عن تأثير الإسلام  
والعربية. وهذا ما نادى به أحد دعاة البربرية ودارسها وهو الأستاذ سليم شاكر الذي يرى أن  
حل المسألة البربرية في الجزائر وكذلك في المغرب الأقصى يقتضي تطورا ديموقراطيا<sup>18</sup>  
وصرح به حينئذ أحمد علما اعتد أن أحداث الشاكر (الرجع البربري، 1980) لحظة  
من لحظات الحقيقة التي أظهر فيها الشعب القبائلي أن حقوق الإنسان هي أولا أن يكون  
إنسانا وأن يناضل من أجل الديمقراطية، مختلف المحافظة على البربرية أهم  
الجزائريين أكثر بأن الرهان هو الديموقراطية تحتية سياسية وثقافية<sup>19</sup>.

وفي هذا المجال يذكر لنا الأستاذ في المعهد العلمي المصادف لخدمة الثقافة البربرية  
ظل متواضعا بالنسبة للشاكر الدغالي والفعل السياسي المرتبط به، فإذا استثنينا بعض  
المحاولات التي تدخل في نطاق البحث اللغوي والدراسات اللغوية لدارسي البربريات في  
الجزائر، فإن الإنتاج الحقيقي لدعاة البربرية كان موجها في أساسه لخدمة الثقافة  
الفرنسية وتعزيز مكانة اللغة الفرنسية، والفعل نشاط كل من مولود مصعوي (مت، 1987)  
وكاتب ياسين يوضح لنا مدى ارتباط الدعوة البربرية بالثقافة الفرنسية، فكاتب ياسين الذي  
تحول من مؤلف وطني متمسك بالعربية والإسلام في شبابه المبكر كما عبر عنه في  
معاشرته الشهيرة «حول الأمير عبد القادر الجزائري» بياريس سنة 1967<sup>20</sup>، إلى عداء  
صريح لكل ما ينتمي إلى العربية والإسلام بفعل تأثيره باستاذة الفرنسي للتاريخ والجغرافيا،  
وهذا ما جعله يتبنى طروحاتهم فيما بعد، فلم يعد يفرق بين الاستعمار الفرنسي والانتداب  
العربي الإسلامي في روايته الشهيرة «جربني عام» و«يا محمد طغ حبيبنا»، وهذا ما  
صرح به مجلة جون أفريك بقوله: «... كما ثارت ضد الجزائر الفرنسية، أثر الهجوم ضد  
جزائر إسلامية، إنهم (أي دعاة البربرية والإسلام) يكيلون شمعنا بواسطة الدين واللغة، أنا  
لست عربيا ولا مسلما أنا جزائري»<sup>21</sup>، كما أصبح يرى في تعليم اللغة العربية انقطاعا عن  
الأصول وتكريسا للضماع، وهذا ما عبر عنه في مجلة «نجم» (Nedma) عندما وصفه

إحساسه هي المدرسة ونشرته إلى الحياة بقوله: «لقد ظل إحساسي بالقطرعة، حتى أيام النجاح في الدراسة، يمتلكني ويهزني ويشعمني بالانقطاع عن أصوالي، إنه ذلك الإحساس بالنفي والافتراق الداخلي الذي لا يقرب أبداً الواحد إلى أمه، بل ينزعه ويبعده عن كل صلة دموية بأصوله، ويشعره بالهالة من جراء اليفاد وحرماته من لفته... وبذلك فقدت كل شيء، ضيعت أمي ولقني، إنها الكثر الذي لا يقبل الفساد ومع ذلك فقد أفسدوهما»<sup>(٢٢٤)</sup>.

أما الكاتب مولود معمري الذي اشتهر بأدبه الفرنسي الرفيع وبمقاومته المستميت من الثقافة البربرية وعمله المؤلف لتدوين تراثها بالحرف اللاتيني خاصة عند توليه إدارة مركز أبحاث الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والإثنوجرافيا بالجزائر (ICRAPL) أو إنشاء شريعته للثقافة البربرية بجامعة الجزائر وخاصة ما عبر عنه في روايته «البرودة النسبية» (La collée relative) التي لا نجد أحسن تعبير عنها من تعليقات النقاد الفرنسيين عند صدورها بباريس سنة 1982. فقد كتب عنها الناقد الفرنسي روني هالون (Rony Halon): «إن التجارب العميق الذي شعرنا به مع هذه القصة «البرودة النسبية» المنبثقة عن المواقف القبائلية، إن دل على شيء فإنما يدل على أواصر القراءة الفكرية التي توهم الشخص الفرنسي والقبائلي، وهذا الأمر ليس مستغرب لدى من يعرف ما يمكن أن تنقل عنه العقيدة البربرية من **روائع خاصة إذا** تمكنت في ذات اللغة الفرنسية»<sup>(٢٢٥)</sup>. كما علق عليها الكاتب الفرنسي موريس موليه بهذه العبارات: «ليس أمي مولود معمري إلا أن يظل وفيها لأصله القبائلي، وقد نزل من مفرد اللغة الفرنسية حشر رخ فيها، وقد مر بمرح عما خلفه أجداده الأولون»<sup>(٢٢٦)</sup>. كل هذا ما يوضحه تؤكد، على ضوء الحقائق المتوفرة، أن جهد دعاة البربرية في الجزائر من أجل البربرية يعتبر متواصلاً بل حاصلاً بالنسبة إلى ما ساهموا به من إنتاج علمي سوف يظل رافداً لحيا الثقافة الفرنسية وخاصة في مجالات الإثنوجرافيا والأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والثقافات الشعبية والقولكلور المحلي، ولعل أوضح دليل على ذلك تصحيح أعداد دائرة المعارف البربرية، (Encyclopédie berbère)، والرجوع إلى الدراسات التي ينشرها للمركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي الفرنسي (C.N.R.S.) في «جيوغرافيا شمالية إفريقيا» (Annuaire de l'Afrique du Nord) والإطلاع على المنشورات البربرية الصادرة بفرنسا مثل نشرة «الربيع» (Tahall) ونجمة (Néjma) وغيرها.

## ٥ - نشاط الحركة البربرية في الجزائر (١٩٤٨ - ٢٠٠٣)

عرفت الجزائر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (1945) أحداثاً سياسية مهمة وتطورات اجتماعية وثقافية خطيرة ساهمت في ذات النزعة البربرية على أن تلوح من هزلتها وتحاول فرض وجودها في الساحة الجزائرية بكسب المؤيدين لها في بلاد القبائل وهي أوساط المهاجرين في فرنسا، وتتضمن هذه الأحداث والتطورات في النقاط التالية:

## السياسة العربية في الجزائر

١- انتشار التعليم الفرنسي في الجزائر وتعمق الثقافة الغربية في أوساط المتعلمين وتزايد أعداد أتباعها تحرير إلى فرنسا، وخاصة من بلاد القبائل حيث أصبحت الفرنسية والهجرة إلى فرنسا من الظواهر المؤثرة في المجتمع المحلي، وهذا ما ساعد على ظهور جيل جديد من الشباب البعيد عن التقاليد القروية والقيم الموروثة عن الثقافة العربية الإسلامية، فأصبح جل الشباب المتعلم والمتخرج من المدارس الفرنسية متجهين بالأفكار الأوروبية وخاصة منها الليبرالية الشيوعية الداعية للثقافات الشعبية والحداثة للثوابت الحضارية للشعب الجزائري، هائل الشعب الجزائري في رأي الشيوعيين حسب تعبير زعيمهم موريس طوريو (Maurice Taurieu) «مجرد مجموعات من الفرنسيين والعرب واليهود... يصعد التكوين تاريخيا ليصبحوا أمة بفضل جهود الجمهورية الفرنسية»<sup>(١)</sup>.

٢- انشغال الحركة الوطنية الجزائرية بمساعيها السياسية (حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية)، والإصلاحي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بمواجهة الواقع الاستعماري الفرنسي المتحضر وما يفرسه من تحديات، فأصبح ماضو الحركة الوطنية من الطوائف في أفكار دعاة اليسارية وانضموا أسلوبا من أساليب الاستعمار، فلم يروا فائدة في طرحها للنقاش وأثروا لا محذور منها «والإكتفاء بمراقبة داية كمنطلين حتى لا تؤثر في وحدة الصف وتتحول إلى أداة خرافة يتخسبهم في يد الأبارغ الاستعمارية الفرنسية، وهذا ما سمح لدعاة الليبرالية بخرية الصراع والدخول في التشنج والتشنج إلى غلابة حزب الشعب».

٣- الاعتماد الذي وصل إليه التيار الاستقلالي في الحركة الوطنية يجعل رفض الفرنسيين الاستجابة إلى نفس المطالبات الجزائرية، الأمر الذي أدى إلى الزعة في صفوف حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية تعقدت مع أحداث الثامن ماي ١٩٥٥ الدعوية بعد أن تخلى الحزب عن المناضلين المجندين في المنظمة السرية للحزب بعد اكتشافها (١٩٥١)، وهذا ما أدى إلى حدوث شقاق بين المناضلين للزعيم مصالي الحاج والمساندين للجنة المركزية للحزب (١٩٥٢)، وقد تعمق هذا الانشقاق بفضل تراجع الجيل الأول من المناضلين المصاليين الذي يمتلك مصالي الحاج ووصول الجيل الثاني من المناضلين ذوي الثقافة الفرنسية، مما خلق اضطرابا في أوساط المناضلين الأمر الذي ساعد دعاة الليبرالية على التشنج إلى الحزب والموقع في أماكن المسؤولية وتعهد الزعميين لأفكارهم في أوساط النخبة المثقفة الليبرالية واليسارية، والعمل على تحويل اتجاهه وجعله وسيلة لنشر أفكارهم وفرض طموحاتهم.

٤- انعكاسات كارثة فلسطين على الثنائي العام الجزائري (١٩٤٨) التي عرقلت الدعابة الفرنسية كيف تستغلها للإيمان في إثارة العرب ووضفهم بالحين أمام الأمة العربية اليهودية وذلك بهدف إبعاد الجزائريين عن التعامل مع إخوانهم العرب في الشرق وجعلهم

يشككون في مدى جدية الانتساب إلى أمة العرب، وهذا ما أثار التساؤل والحيرة لدى كثير من مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية وسمح لدعاة البربرية أن يجاهروا بكون الجزائري ليست عربية ولا شرفية وإنما هي بربرية، وسمح للعناصر البربرية القديسة في حزب الشعب بأن تصب نفعتها على قيادة الحزب المتقزمة بالشوايات الحضارية للشعب الجزائري بحجة أنها: «لم تحدد استراتيجيتها على ضوء الحقائق (أي الواقع البربري) وإنما فضلت الهروب نحو سراب الشرق حتى أصبح - حسب قولهم - خلق دقن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية عدداً سياسياً ٣٤».

سمحت هذه الظروف والتطورات التي عرفتها الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية للجيل الثاني من دعاة البربرية التسلح بالثقافة الفرنسية والمثائر بالأفكار اليسارية، أن يتجاوز عدداً من الجيل الأول الذي طلت لديه النزعة البربرية قشاعة ذاتية وموقفاً شخصياً، فعاول الظهور على مسرح الأحداث والندوة إلى الأفكار التي تقوم عليها المسألة البربرية، في محاولة لكسب الانتصار ولتكوين رأي عام يبلاد القبائل يتعاضد معه. فتوجه اهتمامهم نحو التنظيم السياسي للحركة الوطنية الجزائرية (حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية) لعدايتها والحضورية القوي في أوساط المهاجرين القبائل في فرنسا. ولكونه أفضل وسيلة للإشغاف التشريعية على الحركة البربرية وإبعادها عن ميدانها وتخليها عن ارتباطها على ارتباط الفكرة البربرية بالمشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر الذي سطر لها وزناً واسعاً وساعدها على النمو والتطور كما سبق التعرض إلى ذلك.

وفي إطار هذا التوجه عبرت الحركة البربرية بعد الحرب العالمية الثانية عن نفسها من خلال ثلاثة أحداث غاية في الأهمية بالنسبة لتوجهات الجزائر حالياً ومواقفها مستقبلية. أولها: «الأزمة البربرية لحزب الشعب الجزائري (١٩٥٨ - ١٩٥٩)» التي انطقت طابعاً سياسياً كاد أن يكون له تأثير سلبي على المشروع التحرري الجزائري. وثانيها: أحداث عام ١٩٨٠ المعروفة بـ «الربيع البربري» ذات الصبغة الثقافية التي عرقلت الملف الثقافي الجزائري وساهمت في العيولة دون وصول الجزائر إلى مرحلة السيادة الثقافية. وثالثها: «حركة المروش» الحالية (٢٠٠١) والتي رفعت شعار المواطنة وانطقت مطهراً اثر على واقع بلاد القبائل قد يكون له انعكاس سلبي على بنية الشعب الجزائري وهويته العربية الإسلامية، كل هذه الأحداث كانت معالم بارزة في تطور القضية البربرية في الجزائر، وهذا ما نحاول تعريف القارئ به في النقاط التالية:

#### أولاً: الأزمة البربرية لحزب الشعب الجزائري (١٩٥٨ - ١٩٥٩)

قامت بها مجموعة من الشباب ببلاد القبائل ذوي الثقافة الفرنسية، ووجدت لها بيئة ملائمة هي أوساط المهاجرين القبائل بفرنسا واليهيكلين في فيدرالية فرنسا لحزب الشعب -

## الحزب الشيوعي في الجزائر

حركة انتصار الحريات الديمقراطية (F.F.A.M.T.D.) وقد انطلقت هذه المجموعة في عملها من خلال خطة محكمة تقوم على استقطاب الطلبة القبائل بالثانويات وبجامعة الجزائر ومدرسة المعلمين ببوربرجة المتميزين بنشاطهم والمعروفين بانفعالهم وحماسهم. وبالفعل استطاع العديد من هؤلاء الطلبة، ذوي الهول البوربرية، أن يتولوا مسؤوليات في أجهزة حزب الشعب - حركة الحريات الديمقراطية - وأن يندمجوا في الجناح العسكري للحزب سنة 1984، ولتتمثل في المنظمة السرية لحزب الشعب. وأن يحصلوا على عضوية اللجنة المركزية للحزب. وكان في طليعة هؤلاء الطلبة علي فرحات ويحيى هني ومبروك الحسين والصادق همرسي وبلعيد أيت مبري وحسين أيت أحمد وعمار أوسديق وعمار ولد حمودة والي بناي وعلي عيماش (توفي 1986) والدرس السعيد أوموار وغيرهم<sup>1</sup>.

هذا، وقد كان تتراجع الجبل الأول لمنظمة النجم وحزب الشعب، ووصول الجبل الثاني إلى أماكن المسؤولية. هزيمة سانحة لدعاة البوربرية للتمثيل إلى الحزب، والتمسك في أجهزته والشاغل في توجهاته والإمالة بالخط الذي يمثله مصالي الحاج الذي يصر على التمسك بتوايت الشعب الجزائري. التمثلة في الهوية الوطنية والانتساب لخطورة الإسلامية، وبالفعل تعصب اهتمام دعاة البوربرية على الترويج في أماكن المسؤولية في الحزب، والتضخيم التحويل لجماعته. وحفظه وسيلة نشر أفكاره وفرض أفكاره عليهم. وقد بدأت خطوط الأزمة تتسع بفعل توازن بعض المسؤولين في الحزب، وسددهم مع الدعوة البوربرية، ومنهم والي بناي عضو اللجنة القيادية لحزب الشعب بفرنسا، الذي ألقى مسؤول المنظمة الوطنية للحزب بالجزائر أحمد بودة بضرورة تقديم يد المساعدة للطلاب محمد سي يحيى الملقب بسي رشيد، فتمت عملية نقله إلى فرنسا بدعوى أنه مطارود من الشرطة الفرنسية التي لم تكن بعيدة عن هذه الخطة، إذا عرفنا أن والي العام للجزائر شاتليهون كان لا يتردد في استعمال كل الوسائل للحد من المد الشعري الذي يمثله حزب الشعب آنذاك، ويسعى جاهداً إلى إشغال نار الفتنة داخل الحزب. وهذا ما تكفل به المكتب الثاني (المباحث الفرنسية) عندما وضع خطة تكون دعاة البوربرية أحد وسائلها لتفكيك الحزب والتضيق على أعضائه. بعد أن بلغ عدد المنتسبين له في الجزائر وفرنسا حوالي عشرين ألف متاضل، منهم 5000 بالجزائر العاصمة و1200 ببلار القبائل<sup>2</sup>.

بدأ الطلاب سي رشيد نشاطه الحزبي بفرنسا في ربيع عام 1984. فأظهر كفاية وجراة وحيلة أكلته إلى أن برزتي بسرعة في مراتب المسؤولية في حزب الشعب، فأصبح عضواً في اللجنة المدبرة لقيادات الحزب بفرنسا. وعندها أظهر ميوله الجهورية. وبدأ في التهاجم على توجهات قيادة الحزب. ولم يعد يستمر على نهج البوربرية. أو يتخرج من تعظيم القبائل على غيرهم من الجزائريين دون اعتبار للكفاية والمقدرة. وهذا ما سمح له -في خفا من شالبيهة

مناضلي الحزب، وقيادته - أن يعيد نفسه بالتناضلين المتعاطفين معه، وأن يضع المؤيدين له في مراكز المسؤوليات بفيوزالة الحزب بفرنسا. الأمر الذي مكّنه من السيطرة الفعلية على خلايا الحزب وساعده على وضع يده على جريدة الحزب «التجمع الجزائري» (L'Unité Algérie) التي تحولت إلى منبر لأفكاره، وقد ذهبت به الجريدة إلى حد الطعن في قيادة الحزب (التهجم عليها، عندما كتب تعليقاً في جريدة التجمع الجزائري بعنوان: «الجزائر ليست عربية ولكن جزائرية» ردًا على المذكرة التي تقدمت بها قيادة حزب الشعب الجزائري إلى جمعية الأمم المتحدة سنة 1968، والتي جاء في مستهلها: «إن الأمة الجزائرية العربية المسلمة ولدت منذ القرن السابع الميلادي مع الفتح الإسلامي...» ولم يمت سي رشيد في نهضته على هذه المذكرة أن يندد بقيادة الحزب بهذه العبارة التي لم يمت عن روح التعدي «منذ بعض الوقت ورد على لسان بعض الزعماء ما يؤكد أن الجزائر عربية، فهذه الأقوال ليست فقط غير صحيحة، ولكن الفكرة التي تعبر عنها بلا شك عنصرية إمبريالية»<sup>32</sup>.

أصبح الخطر الذي يمثله هذا التوجه «لمصلحة» التسمية «الجزائرية» والمناضلي قيادات الحزب مثلاً القياديين عندما تمكن سي رشيد من إقناع لجنة دربرالية فرنسا أن تشر لاحتجين تشيخا ما اعتبره «خرافة الجزائر العربية الإسلامية» وهذا ما طرح مسألة دولية الجزائر للنقاش وأثار حولها التساؤل بين مناضلي حزب الشعب انطلاقاً من المذهب الشيوعي للمساواة القومية الذي يرى بأن لكل أمة خصوصيتها القومية «وميزانها الثقافية» ولكن يجب أن تكون في الاستقلال حسب النموذج السوفييتي. الأمر الذي أثار المثل في أوساط الحزبيين وحمل بعضهم بتشكك في النهج السياسي للحزب القائم على فكرة وحدة الشعب الجزائري وعلى انتعاشه العربي الإسلامي الصحيح الذي لا يخالش فيه.

أصبحت قيادة حزب الشعب وقيادته مناضليه في حيرة من أمرهم مع ارتفاع سي رشيد وعقريه في طرح أفكارهم التي اصطفت بفرقة عنصرية لتصل بالإسلام صفة الرجعية والتأخر وترى في العرب أجانب غزاة ولغتهم خطيئة وميتة ولثقافتهم مرتبط بالانحطاط والظلم<sup>33</sup>. ومرد حيرة المناضلين أنهم كانوا لا يرضون في التشهير بهذه التصرفات غير الوطنية والسلوكيات غير القبولية لسي رشيد وأصحابه خشية انعكاسها على وحدة مناضلي الحزب وطوقا من أن تستغلها السلطات الفرنسية، لكن مع مخاللة دعاء البربرية وانهاسهم لقيادة الحزب بالانحراف وسعيهم لتفريق صفوف الوطنيين أصبح مستقبل الحزب مرهوناً بمعالجة هذه القضية ووضع حد لهذا الوضع. فالتخذت الإجراءات الضرورية للتصدي لهذا الانحراف بعد أن أعلم أحمد بودة عضو اللجنة المركزية رسمياً قيادة الحزب بنشاط دعاة البربرية.

أولت قيادة الحزب الأمر إلى لجنة مؤلفة من نطقة من المناضلين أغلبهم من بلاد القبائل كان في طليعتهم شوقي مصطفى، عضو المكتب السياسي وصديق سيدي المعروف لدى سكان



## العصاة البربرية دم الجزائر

جزيرة بلزامله ومواقفه وبنقاسم وأجف ومحمد حيدو، يعاضدهم في مهمتهم هذه فوج من طلبة الحركة الوطنية بفرنسا لسنة 1918 - 1919 مؤلف من مصطفى الأشراف وعبد القادر بن حبيليس وعلي مرداسي وسعدي الدين حفيور وصفيور مصطفى وسعيد بن قطاط والنونسون الطاهر فبقة ومصطفى الفوف<sup>1</sup> وعندما شعر دعاة البربرية بالخطر وحاولوا التحيلولة دون اتصال اللجنة، القلعة بتطهير الحزب، بالمناضلين في خلايا الحزب وخاصة في منطقة باريس المهمة حيث كان أنصار سي رشيد يسيطرون على 80 في المائة من قسماها؛ على أن هذه اللجنة تحدث في أراء مهمتها على أفضل وجه بفضل المون الذي وحدته من المناضلين المنتسبين إلى منطقة القبائل العسكري داترتي باريس التسعة عشر والعشرين ومن مناضلي قسما المدن الفرنسية الأخرى وخاصة ليون حيث كان للمناضلين بشير بوعزة دور مشرف في القضاء على الفتنة البربرية.

وبذلك أمكن لحزب الشعب أن يحدد تشكيل فيدرالية فرنسا ويحول اهتمامه إلى الجزائر حيث كان مناضلو الحزب يتعرضون لضغوط دماء البربرية في بلاد القبائل، فعالت حزب الشعب النجاح في ذلك عندما تصور تأيد أحد القضاة فسمعة واضطروا إلى حل القضية الثانية عشر (عج الحماير) التي عرفت بالمعضلة طيلة ذلك جمود أحد دعاة الحركة البربرية، وبذلك عاد الانسحاب لحزب الشعب بعد تعبئة عشر شهرا من النضال المستميت لتطهير قسما الحزب وخلاياه من المظالمات البربرية، وهذا ما أثبتته التقرير العام للجنة المركزية في المؤتمر الثاني لحزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد في مدينة الجزائر (1-7 أيار 1987) بهذه العبارة: «اضطرم الحزب بمعضلة داخلية خطيرة وهي البربرية. وليس هنا مجال سرد تاريخ هذا الانحراف المتمحور حول اللون بالصبغة العنصرية والفرقة الشبهوية. وقد ظهرت هذه النزعة في جامعة (فيدرالية) الحزب بفرنسا ثم بالقطر الجزائري. وقامت بعمل طائفي يرقى إلى التخريب والتفرد المكشوف على الحزب. وقد اتخذت إذ ذلك جميع التدابير الضرورية التي ينطليها الموقف. وشهر بهذه الفكرة، وتم إخراج الداهون إليها من الحزب»<sup>2</sup>.

اضطرو دعاة البربرية إلى الانسحاب من حزب الشعب أمام محاصرة الوطنيين لهم وتطور المناضلين من أفكارهم، فحاولوا في بادئ الأمر إحداث التشقاق في حزب الشعب بتأسيس حزب خاص بهم باسم «حزب الشعب القبائلي» (IPPK) بتبني مفهومها دائما على النزعة العنصرية واليهود اليهودية والتشاعة المراكوفونية. لكنهم وجدوا أنفسهم منمزجين عن أوساط الشعب ومنهمكين بالخيانة في بلاد القبائل وفي أوساط المهاجرين بفرنسا. بعد أن انكشف أمرهم وأطلع المناضلون على خطتهم عندما وقعت مراسلة من سعن الجزائر الذي يج عبر لوصديق ووالي بني هي يد أحد المناضلين هم الشرف على منشطتي هذا الحزب العنصري من

خلال الدعوة البربرية ومنهم والي بني وحمزة الوصديق وعمار ولد حمودة وسابق حارس علي فرحات الذين لم يجبروا مزاراة البربرية فسلطوا على غضبهم على مناضلي الحزب وهي مقدماتهم المناضل طاهر لعجوزي المناطق باسم حزب الشعب مما أدى إلى احتكاكات كانت مثار قلق المناضلين آنذاك. لعل أكثرها إثارة تلك التي أصيب فيها علي فرحات برصاصة مناضل حزب الشعب فرنان عتفي عندما اضطر هذا الأخير بإطلاق الرصاص دفاعا عن نفسه<sup>١٢١</sup>.

فضل دعاة البربرية الذين طردوا من حزب الشعب ولم يتعكفوا من إحداث التشقاق فيه باسم وحزب الشعب القبطاني إلى الانشقاق عن ساحة الصال الوطني والانتماع إلى الحزب الشيوعي الجزائري الذي تأثروا بطروحاته ووجدوا الترحيب من إيطاليته، وبذلك انحصرت الدعوة البربرية وكانت أن تتلاقى مع أحداث الثورة الجزائرية (١٩٥٤ - ١٩٦٢). بعد أن سقطت دعايتها على أفكارهم والتزموا بعدم المجاهرة بها خوفا من انتقام المناضلين وحكم الثورة عليهم بالخيانة والعمالة للفرنسية، فضلا عن كون الفكرة في حد ذاتها زائفا خاسرا لا يفيد الدعوة البربرية في أدنى المجهود. ولعل هذا ما جعل أحد المناضلين الموقفين بحسبه السياسي وبعد نظرهم للأحداث وهو حسين أيت أحمد يحدد موقفه حينئذ من الأحداث فترجم الفهم من بعض المناضلين من أنه انطلق المدير لخدمة البربرية لئلا يفسد وجهه ولا يشاء أن يجاهر بموقفه عندما خلق في أمرو مناضلا الحزب أحمد بودة. دافع أحمد شوانكي عن "خطير قضية مجرد مؤامرة ضد مسؤولي الحزب من الثقات" لكن زملائه كسانسل وعتفي صافوا مع قاعدته الوطنية جعلته يراجع نفسه ويقرر حقيقة الأمر وعلى ابتعاده عن العناصر البربرية ويعلن منفرجا بالخط الوطني حتى بعد أن نهي من رئاسة المنظمة السرية وموض بالحمد بن بيللا وحول إلى الشرق لينضم إلى مندوبي حزب الشعب بالقاهرة وهما محمد خير والشافلي لثكي.

وعما يلاحظ أن حسين أيت أحمد الذي يستدل به التاريخ أنه يفضل دائما مصلحة الحزب على حساب قضاياه وميوله، لم ير اختيارا حرجا في التعبير عن تعاطفه مع دعاة البربرية وأن يصبح من موقفه من الأزمة البربرية لعام ١٩٦٤، عندما كتب في مذكراته: «إلى الشباب المطالبين باللغة البربرية والذين يلومونها على عدم تمكننا من طرح الشكل اللغوي بهذا المؤتمر (مؤتمر حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد في شهر فيفري ١٩٦٢)، نوضح ولين بأننا لم نتهاون في القيام بذلك لأن البربرية تعيشها، ولو كان الحزب سلطة ملغية الطائفة بعلما في كتابة وتدريب اللغة البربرية»<sup>١٢٢</sup>.

لقد نجحت زعامة حزب الشعب الجزائري مغلقة في التحيل الأول من الحركة الوطنية الجزائرية بزعامة مصالي الحاج (١٩٦١) أن تتجاوز القضية التي طرحها دعاة البربرية وأن تستبعد الشكل معارضة منظمة للقيادة الصناديق سواء في شكل لسلل المواقع انقياد أو احتلال

أجهزة الحزب أو بواسطة إنشاء حزب منافس (حزب الشعب القبائلي)<sup>11</sup>. ويهود نجاح زراعة الحزب في ذلك إلى الاحتكام إلى الصمبر الوطني الجزائري واستنهاضه في مواجهة دعاة التفرقة والجهوية بكل عزيمة وصرامة وثبات، بعيدا عن الجمالة والمهادنة وبالاعتماد على الوسائل المكنمة والمتخفية في التشهير والظرد والمقاطعة مع الابتعاد عن كل عمل أو سلوك يمس بالتراث الثقافي البربري للجزائر. فقبل الجميع مظاهر الثقافة الشعبية القبائلية سواء في الكلام أو القنطرب أو القولكوز وحتى الأناشود الوطنية مثل نشيد «إكر عميس فو ماري» (Ker amris mari) باعتبار أن تلك الشظافة المحلية تعبر بصديق عن الوطن الواحد والشعب الواحد والهدف الواحد. هذا في الوقت الذي عرّض فيه حزب الشعب وكذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على فكرة المبادرة للتصدي لدعوة البربرية إلى أبناء بلاد القبائل المخلصين من مناصلين ومصلحين وشيوخ زوايا وزعماء عشائر لمواجهة دعاة الانحراف وباتفضل كان رجال منطقة القبائل في طليعة الحركة السياسية والإصلاحية بمنطقة القبائل وبغيرها من جهات التملز الجزائري. وبذلك نجح حزب الشعب في تجاوز القضية التي طرحها دعاة البربرية فوجد لها حلا إداريا وحزبيا وأيدوا لها لئلا يمكنه أن يستطع محو مسبباتها واجتنابها من جذورها. لأنه نشط **مختلج** متبول الذي يكون في مستوى التخطيط المشروع الاستعماري الرسمي. وهذا ما أفر به الحزب عندما اعتبر في تقريره للمؤتمر الثاني (1982) أن البربرية سلاح في يد الاستعمار عداء لا يستعبر فاعله<sup>12</sup>.

تاليا، أحسن تيري أوتو أو اليونس أوتو (1980-1980)

ما كان لأحداث تيزي أورو الصروعة بالبربرية الأسلوبية أن تقع لولا تصاغر عوامل عدة مساعدة وظروف ملائمة عمل أهمها أزمة صالحة عام 1962 التي ارتبطت باستقلال الجزائر وتميزت بالتنافس العداء للاستعمار على السلطة وانتهت بالقضاء على نفوذ الولايات وإقرار النهج الاشتراكي في التنمية واعتماد نظام الحزب الواحد لتمثل في حزب جبهة التحرير الوطني. فاستقرت الأمور بعد تنحية أحمد بن بيل (1965) وتولي هواري بومدين الحكم (1965 - 1998) الذي نجح في السنوات الأولى من حكمه بفضل حزمته وتصميمه في بناء جهاز الدولة الجزائرية وهي انحتاج خطة تنمية طموحة، وهذا ما جعل الجميع يلتزمون بالدينامية الحركة الوطنية الجزائرية ومبادئ الثورة الجزائرية القائمة على وحدة الشعب الجزائري انطلاقا من هويته الوطنية القائمة على الثقافة العربية والعقيدة الإسلامية، كما كان الشروع اليومي في التمثال في الثورات الثلاث الصناعية والزراعية والثقافية متطلبا لحركة اقتصادية واجتماعية سمحت بإيجاد توازن بين شرائح المثقفين بالفرنسية والعربية بحيث احتكر التفرنسوس مجال النشاط الاقتصادي المربع والفني والإداري المؤثر. فتنحسروا بذلك في أجهزة الدولة وشوقوا في مفاصل النظام، وشغل العربون الوظائف الدينية والتعليمية وقصروا

بالهام الثقافية والجزئية أملي أن مكانتهم سوف تتدعم وأوضاعهم سوف تتحسن مع استكمال ضرب التعليم والإدارة، فاستقرت الأمور بالجزائر ظاهريا وظل التوازن قائما لمدة تهازي عشرين سنة (1965 - 1988) لكن فشل مشروع بوعدين الصناعي والزراعي ثم التعليمي عه بعد موته (1998) في وقت عرفت فيه عملية التمزيد تقوما ملحوظة في المؤسسات التعليمية والأجهزة الإدارية في عهد الشاذلي بن جديد (1998 - 1999) أجل بهذا التوازن وحول الكفة لصالح المزمزين مما تسبب في نظمة التفرسين بعد أن لم تعد اللغة الفرنسية بالنسبة لأغليتهم أداة ترفلية ووسيلة تمايز اجتماعي فحسب بل تحولت إلى قيم حضارية وميول ثقافية ومفاهيم ايدولوجية. فاستعملوا كل الوسائل لوقف عملية التمزيد ووجدوا خير سند في ثقافة البربرية وغالبية العناصر الشيوعية.

فلم تعد أليات الحركة الوطنية تقع دعاة البربرية ولا ميادين الثورة تخفيهم، طهروا من تحفظهم وبدلوا بجاهلون بأفكارهم ومواقفهم بدعوى حرية التعبير والحل في التمايز، في الوقت الذي أصبحت فيه النظمة التفرسية المتحكممة في أجهزة الدولة الجزائرية (القومونكلاتورا) تغرق من شعارات حرب جبهة التحرير المادية بالتمزيك، فلم تعرفها الاعتياد وإنما استعملتها فقط كواجهة لتستر على عملية **الفرنسة** التي تمارسها في المجتمع. وبذلك تهيأت الظروف لدعاة البربرية أن يجدوا مشعلهم وأن ينفقوا أفكارهم للجيل الثالث عن طريق تنظيم الحلقات والدروس التي تلب الأيديولوجية الماركسي على إقامتها والتي اتخذت شكل نشاط ثقافي برمي إلى إحياء التراث البربري والاعتماد على الذي ما لبث أن أصبح له تأثير في الأوساط الطلابية بمدينة الجزائر ونهري أورو.

ومع المرافيل التي وضعت أمام عملية التمزيد من طرف الإدارة الجزائرية في الثمانينات بدا نشاط دعاة البربرية يتطور في شكل مطالب محددة تتعلق بالهوية الجزائرية وبإبعاد شخصية الشعب الجزائري. فوجدوا خير مشجع لهم ذلك الموقف السلبي من البربرية الذي عرفت به العديد من الإطارات التفرسية المتحكممة في أجهزة الدولة وقطاعاتها الاقتصادية والثقافية. هذه الإطارات التي رأت في دعاة البربرية الحليف الطبيعي لها في دفاعها عن مصالحها والحفاظة على مكانتها أمام تصاعد الأجيال البربرية المنخرجة من المدرسة الجزائرية. في الوقت الذي أصبحت فيه المسألة البربرية محل اهتمام الأوساط المتفذة في الدوائر الفرنسية وهذا ما سمح بتأسيس «الأكاديمية البربرية» من طرف بعض دعاة البربرية بباريس (1997) والتي كان لها دور بارز في بلورة المطالب البربرية في نشرها الشهرية وهي ما تصدره من منشورات وبيانات، فقد جاء في بيانها الأول: «أن تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس الآن كله تزييف وتعميد. فعلى البربر أن يتحدوا ضد جبهة تكراء اسمها البربرية... وهذه بالنسبة لنا هي مسألة شرف وكرامة»<sup>1</sup>. كما

## المحنة الليبية دم الجزائر

ورد في المنشور الثاني: «لقد رحلوا (أي العرب) غاروا بكم دون أن تبدوا أي مقاومة، غاشوكم أن تضربوا ووحكم... إنهم (أي العرب) يحاولون أن يطفئوا نوركم ويحسبواكم بغير بقلهم لأنه يحولكم إلى أماس لا ذكوة لهم ولا اسماء ولا ارتباط... استبقطوا إنهم يحاولون أن يعضوا عنكم أنماكم وإذا لم تتدركوا هذا الأمر (أي التعريب) فإنهم يتكبرون لكم (أي أمياكم) بعد وقت ليس بعيد، بل يصيرون أعداءكم... فامضوا، غارضوا عملية التعريب العنصرية قبل هزات الأول، ذلك أن اليوم الذي يمر بقرنا من الانحطاط»<sup>(1)</sup>.

بدأ نشاط دعاة البربرية يتزايد بعداء في الشارع الجزائري عندما هتفت جموع من شباب القبائل ضد رموز السلطة في ملعب 5 يوليو بالجزائر العاصمة في شهر يونيو 1997 بمناسبة فوز الفريق الرياضي القبائلي (الكافورنيك) ليرزي أوزو) بكأس الجمهورية، وهال الأمر الموقوفين الجزائريين عندما فعلى الصفيير عند مصراع الشهيد الوطني وشدت هتافات ضد رئيس الجمهورية هواري بومدين. صدرت من جماعات متحمسة ترفع لافتات بخط تقيعنا وتلوح بألوان خاصة ذات لون أصفر وأخضر، وأقام إرسالات أجهزة الدولة وترددها ومحاولة على النظر عما حدث، أخذ دعاة البربرية زمام المبادرة وحسموا على كسب الشارع القبائلي إلى جانبهم مستخدمين كل الوسائل وفي مقدمتها مطاوع الدولكور الشعبي، فكانت الأغنية القبائلية بالنسبة إليهم أحسن وسيلة للتوعية والتعبئة. فالتعريب الذي كان يهدف إلى محو الهوية والناس وخرجات مهني وأيدي مشغلات ويدر وغيرهم وتحول أصحابها إلى رموز للحركة البربرية وأصبحت تصريحاتهم ومواقفهم تنسج الترابي العام وتوجه في منطقة القبائل رغم ما فيها من روح التحدي والتوجه «أبوت مشغلات لم يتوجه في إحدى أغانيه في التعريب على العرب حيث جاء فيها: «عندما أرى عربيا في حديثي أطلق عليه النار»<sup>(2)</sup>، والغني إيدي، الذي تحدث أحيته الشهيرة «أبلا إبنوية» حيث بيع منها في سنة 1998 ما لا يقل عن مائتي ألف نسخة<sup>(3)</sup>، لم يكن هو الأمر بعينه نفسه عربيا أو مسلما لأن لغة هي انقبائية وهويته هي البربرية، حسب تصريحها<sup>(4)</sup>.

ومع ذلك هذا النشاط المحموم لدعاة البربرية تكوين خلايا نشطة بالمصالح الإدارية والتأهيات والأحياء الجامعية، وتحول الفكر العامي ليرزي أوزو الذي أشن في إطار التوازن الجهوي في السبعينيات إلى مركز رئيسي لنشاط دعاة البربرية المنتشرين بولايات ليرزي أوزو وبجاية والبيورت. مما أثار قلق السلطات المحلية، فحاولت التضييق عليهم عندما رفضت السماح لمطرب القبائلي أوت مشغلات بأحياء حفل في الحي الجامعي ليرزي أوزو (1990)، وسعت إلى تأجيل عرض مسرحية بالقبائلية لكتاب ياسين بوزان «حرب ألفي سنة» والتي يرمز فيها إلى أن الجزائر ما زالت في نظره مستعمرة من طرف الدغلاء العرب، وهذا ما تسبب في توتر الأوضاع وهيا الظروف للاحتجاجات والمظاهرات، فكان منع الكاتب مولود

مدمري من إلقاء محاضرة بالمرکز الجامعي ببلدي أوزو بعنوان «أشعار فياتلية قديمة» (Psalms laityles anciens)<sup>11</sup> في آخر لحظة يوم ١٠ مارس - ١٩٨٠ بمسبلة القطرة التي أفضحت الكفاس، رغم أن السلطات المحلية (الولاية) التي صدر عنها قرار المنع تترعت بتخونها مما قد تشهده المحاضرة من حملات وهياج قد يخل بالنظام ويصعب السيطرة عليه. في الوقت الذي اعتبر فيه دعاة البربرية تصرفها نوعا من التمتع الثقافي غير البربر وإهانة هي حق التراث البربري لا يمكن السكوت عنها<sup>12</sup>.

وبالمثل فقد نظم أساتذة وطلبة المركز الجامعي لبلدي أوزو مسيرة احتجاج في شوارع المدينة لم تلبث أن انسح نطاقها في اليوم التالي (١١ مارس) بعد أن اتضعت إليها جموع من طلبة المدارس وموظفي المصالح الإدارية والتجار بالمدينة قدم جلهم من خارج مدينة بلدي أوزو. فتحوّلت إلى مظاهرة ضخمة رفعت فيها شعارات مناهضة للتربيع وحيدة بالاستبداد الثقافي - كتبت بالعربية والقبائلية ورموز القيثارة - من قبيل: «نعم للثقافات الشعبية الجزائرية» - «نعنا من العظم» (نهباسي الشاغل) - «الأمازيغية هي امتداد» - «تعارفت تمسلايت أنت» - بعدها انطلقت الاحتجاجات يظهر عديد مدني بمساعدة عمال المستشفى وعمال شركة التصنيع بوزاع من طلبة وانضمام جماعات التجارة والحرفيين والطلّاح - فاعلن الإضراب لمدة يومين (١٢ - ١٣ مارس ١٩٨٠). وبدأ حرق دكان الشرطة بالبو - بعد أن نجحوا في تجنيد الرأي العام ببلاد القبائل إلى جانبهم. وحددوا موقفهم من إعلان العديد من الكتابات العنصرية بشوارع بلدي أوزو. فذكر منها: «أوقفوا التمتع الثقافي» - «Halle à la répression culturelle» - «نكسر ولا تنكسر أبدا» - «Non aux braves mais nous ne plions pas». فقدم سجناء من طلمكهم، «ثقافة بربرية تعني ثقافة شعبية» - «Culture bohéme-Culture populaire»<sup>13</sup>، وفي أثناء ذلك تكررت المهرجانات واستمرت الاضطرابات وتوسعت حركة الإضراب لتشمل تلاميذ المدارس الابتدائية وطلّاب الثانويات. مما اضطر السلطات الجزائرية إلى إرسال وحدات من الجيش لتعزيز الشرطة ورجال المراك، فطوقت مدينة بلدي أوزو، وجرى التدخل لتفريق المتعصمين بالمرکز الجامعي وبالمستشفى في ٢٠ أبريل واعتقل المحرضون على الاضطرابات وأرغموا السجن<sup>14</sup>، مما أدى إلى استمرار الاحتجاجات والمظاهرات لمدة أربعة أيام شعلت مدن وقري بلاد القبائل ووصل تأثيرها إلى مدينة الجزائر بفعل نشاط الحركة البربرية من طلبة الجامعة. ومع نهاية شهر مايو بدأت الأوضاع تستقر ولم تلبث أن خمدت حركة الاحتجاج تاركة وراءها نواتر اجتماعية وثقافية ويطيم على الشارع القبائلي. الذي لم يعد كما كان سابقا، بفعل الطابع الشعبي الذي اكتسبته الحركة البربرية والفرامج الملائط للمعارضين لها من سكان القبائل. بعد أن غاب أملهم في النظام السياسي الذي ترك المبادرة لطغموه ولم يكن هي مستوى مواجهة الأحداث، وبذلك توصلت أفكار دعاة البربرية ببلاد القبائل وعبرت عن نفسها

## الحركة العربية في الجزائر

من خلال تنظيم ذي طابع ثقافي وتوجه سياسي وقناعات أيديولوجية عرّف بـ «الحركة الثقافية البيربرية» (M.C.B.).

أصبح من الضروري على دعاة البيربرية بعد النجاح الذي حققوه والذي جعل منهم المعتنقين المتفعلين والمؤثرين في بلاد القبائل أن يحددوا خططهم ويضبطوا برنامج عملهم الثقافي والاجتماعي والسياسي من خلال تنظيم «الحركة الثقافية البيربرية» التي لم تهتكل بعد، فقررُوا عقد ملتقى ببيكوران في نواحي عزازقة في شهر أغسطس 1980 لتحديد خططهم وتسيق عملهم. وقد أضر هذا الملتقى - الذي كانت شخصية الشرف فيه كاتب ياسين - وشاركت فيه نخبة من أنصار الفرنسية والمترجمين بالبيان الشهيرة - على إقرار وثيقة المطالب البيربرية<sup>1</sup> التي تضمنت، على وجوب اعتبار اللغة الأمازيغية (القبائلية) لغة رسمية للجزائر، بعض القانون أسوة بالعربية، وضرورة إدخالها في النظام التربوي الجزائري منذ المرحلة الابتدائية، وبذلك أنهت أهداف الحركة الوطنية الجزائرية وأوجهات الثورة الجزائرية عليها وكترست فكرة ثنائية الهوية الوطنية الجزائرية (قبائلية وعربية) كما نظر إليها الفرنسيون في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

حرص دعاة البيربرية منذ أحداث ليزي أورو على خلق جو دعوي للثقافة العربية بالجزائر وقد أدى بهم ذلك إلى معزجات مفرطة تسلطت المديونية والواجبة عندما تحولت في بعض الأحيان إلى تهجمات صريحة على من ليس قبائلياً، في أثناء مظاهرات خريف 1981 التي عرفت بحزب الغضب والتي استعصمت فيها مطالب الحركة العربية بغير التفرقة للتطبيق بشعارات عنصرية ضد العرب والإسلام من قبيل: «استبقطروا أيها الإخوة البيربر» (Régalez-voilà les frères berbères)، «تيطرد العرب» (Les Arabes à la porte)، «البيربرية أفتساء» (L'arabe est mon esclavage)، «اللغة العربية إنها عبودية» (L'arabe est mon esclavage)<sup>2</sup>. وقد ارتبط هذا التوجه التهجيم على القيم العربية الإسلامية بعوقف معاد للنظام الجزائري لتعسكه ولو ظاهرياً بسياسة التعريب، وهذا ما أوضحه المنشور الذي وزعته دعاة البيربرية بشيبي أورو سنة 1982 والذي جاء فيه: «نظام نافذة منقذدو لا يتفكون في خطاياهم الديمقراطية تأكيد عروبة الجزائر... التي لا تستند إلى أسس تاريخية صحيحة من الناحية الأثروبولوجية أو الثقافية... نعم للأشتركية العلمية، نعم للوحدة الوطنية، لا لتيطرد العربية الإسلامية... نعم لحرية التعبير»<sup>3</sup>.

## ثانياً: حركة العروش (2001-2004)

لم تحقق أحداث ليزي أورو العام 1980 الصروقة بـ «الربيع الأمازيغي» ما كان يأمل القاطنون بها، فزعم الجهود التي بذلت والتضحيات التي قدمت، فقد ظلت المطالب التي حددتها «أرضية إيكوران» مجرد شعارات لكونها غير قابلة للتطبيق في حد ذاتها، وهذا ما جعل

الحركة البربرية تركز على النشاط السياسي حتى تحول دون تراجع تأثيرها في الشارع القبائلي أمام تصاعد المد الإسلامي الذي امتدت تأثيراته إلى بلاد القبائل بفعل الانتفاخ الديمقراطي والتعددية السياسية التي أخذت بها الجزائر سنة 1989، ومع دخول الجزائر في أزمة متعددة الجوانب منذ توقيف المزار الانتخابي (1991)، اضطرت الحركة البربرية إلى مجاوزة السلطة الجزائرية التي عرفت كيف تتعامل مع دعاة البربرية عندما بلغت بنجميد التلب الثقافي الجزائري قبل يوم واحد من اغتيال الرئيس محمد بوضياف (29 يونيو 1992)، فتحول مناضلو القضية البربرية إلى حلقاء طبيعيين للنظام الجزائري تحت غطاء الدفاع عن القيم الديمقراطية والتعددية السياسية والنظام الجمهوري، وبذلك شتتت جهود دعاة البربرية بين النشاط الثقافي والعمل السياسي والتضال العرقي وتحولت مطالبهم على ضوء الواقع الصعب الذي كانت تعيشه الجزائر في التسعينيات إلى مجرد شعارات سياسية وبرامج حزبية، وتوزع الناشطون على الكثير من الأحزاب السياسية، وهذا ما تسبب في انقسام الحركة الثقافية البربرية نفسها إلى تسيديرات بعضها مستقل وبعضها الآخر مرتبط بحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية أو بحزب جبهة القوى الاشتراكية، وفي هذه الظروف المتأزمة لم تعد مطالب دعاة البربرية شانرا على تصعيد التريد من المؤيدين بعد أن أصبح التراث والثقافة البربرية قضية مسلما بها من طرف جميع الجزائريين وأموأ نمرجه مختلف الأحزاب السياسية في برامجها بدلا من الأحزاب البلايكية وانتهاء بالأحزاب الإسلامية<sup>35</sup>، وهذا ما جعل النظام الجزائري - حوصسا على الوحدة الوطنية الجزائرية - يحاول نسي بعض مطالب دعاة البربرية وإخراج تعليم الكهعات البربرية باسم «الأمازيغية» في التعليم ولو جزئيا والتوسع في البيت الإلهي والتفري باللسان البربري كما أحدث مصلحة للاعتناء بالشؤون الثقافية البربرية والتعليم البربرية باسم «المحافظة السامية للأمازيغية» استجابة لوقف إضراب الحفظة الذي شغل مناطق القبائل (سبتمبر 1993 - أبريل 1994).

كل ذلك لم يغير من الواقع شيئا لأن المطالب البربرية لم تعد مسألة ثقافية وإنما تحولت إلى قضية سياسية ذات صبغة أيديولوجية تلتخص أهدافها في معاداة الثقافة العربية والعمل على وقف عملية التعريب والإبقاء على هيمنة اللغة الفرنسية انظارا لأجل غير محددة يمكن فيها تطوير القبائكية من لهجة إلى لغة تعليم وإدارة، لكن الشيء الذي لم يأخذه دعاة البربرية في الاعتبار هو أن الزمان لا يتوقف ولا يعود إلى الوراء وإن المؤسسات التعليمية الجزائرية طلت برقم الحصار الذي تعرضت له والتهام الذي وجه إليها تواسل ومسانتها التعليمية في خدمة اللغة العربية. في الوقت الذي طلت فيه الفرنسية بحكم الواقع لغة مهيمنة على المناهج العليا والإدارات المركزية والخدمات الفنية لا تسمح لدعاة البربرية تمويضا بالقبائكية، وهذا ما أدى بفعل الظروف التي يعيشها المجتمع الجزائري إلى إفراز نوع من التعاضد بين العربية



## العدالة التوزيعية في الجزائر

والفرنسية لم يجد دعاة البربرية مكانا لهم فيه. وهذا ما جعلهم يعتقدون أنهم خدعوا عندما تم جرهم إلى العمل السياسي ودفقوا إلى السعي لاحتلال المناصب. فعلوا ذلك الارتباط مع النظام الجزائري مستغلين الظروف الصعبة التي عرفتها الدولة والتجتمع الجزائري وأخبر التسمينيات بفعل تردّي الحالة الأمنية، هشنوا حملة حادة ضد رموز الدولة وأجهزتها ووضفوا حملة لاحتلال الشوارع القبايلي من جديد بهدف الوصول إلى السلطة لفرض تصوراتهم وتغيير مطالبهم دون اعتبار للرأي العام والقوى النافذة في المجتمع. وهذا ما انعكس سلبا على أوضاع منطقة القبائل التي أصبح يسودها الفلل والاضطراب وتشتد بها روح التمرد وتعود بها روح عدائية ضد النظام الجزائري الذي حملته دعاة البربرية تبعات الطائفة الاقتصادية والأنسداد والاضطراب السياسي.

و لم يفل الأمر حتى وجدوا في حادثة مقتل أحد عملة ثانوية بني دواله بولاية تيزي أوزو المدعو محمد طرماع المعروف بعاسينعما يوم 18 أفريل 2001 من طرف أحد رجال الدرك الوطني حجة لتحدي أجهزة الدولة الجزائرية واعتدوا ذلك الحادث بعشيرة القبايل لشرف سكان منطقة القبائل واعتداء على كرامتهم وعقلهم في الحياة. فسلحت الاضطرابات في العديد من قرى بلاد القبائل ونحوها إلى عصبان عام بعد إلقاء القبض على ثلاثة عملة من ثانوية وار أميزور بولاية دجاية (23 أبريل). وعصا به تلك عصية التسميرات وتعد المظاهرات التي عرف دعاة البربرية كرف بالقرنات. وبوجاهة أحد رجال الدرك الوطني لتكتفين بحفظ النظام. فاعتبروه أنه قتل ورمز عسكاري وأمام إعدام السلطات الجزائرية عن مواجهة التحدي طوقا من التبعات الخارجية ولأنهم قد حلفوا بقرنات إلى ارتكاب أعمال عنف ولم يترددوا في إغراق مزار مصالح الدولة ومكاتب البلديات. وبذلك تراجعت مظاهر سلطة الدولة الجزائرية في منطقة القبائل. لتحل محلها لجان شعبية عرفت بـ «جماعات العروش» أو جماعات القرى. جعلت شعارها «لا تسامح أبدا» (أولاش التسامح) ولم تثبت أن انتهكت منها تسميرات الولايات المؤلف من مندوبي محاسن القرى لولايات تيزي أوزو وبغاية والمورة في اجتماع 10 مايو 2001 بني دواله وحسن تعاضد هذه الحركة على زعمها. حدثت مطالبها الثقافية والسياسية في اجتماع مندوبي التسميرات بمدينة القصور. واعتبرت تلك المطالبات المعروفة بأرضية القصور الحد الأدنى الذي يمكن التفاوض في شأنه مع السلطات الجزائرية<sup>11</sup>.

وضع سياسة التعصيد قوت لجة ما بين الولايات لحركة العروش في اجتماعها بتاريخ 11 يونيو 2001 القيام بمسيرة منظمة بمدينة الجزائر يوم 11 يونيو 2001 لفرض مطالبها على السلطات الجزائرية ولو باستعمال العنف وبالفعل توافقت على مدينة الجزائر أعداد صغيرة من بلاد القبائل رغم الحواجز التي حالت دون وصول وسائل النقل العامة إلى وسط المدينة. وأمام إصرار المظاهرين على الوصول في مسيرة جماعية إلى مقر الرئاسة

الجزائرية بأغالي المدينة (المرادية)، تحولت المظاهرات إلى أعمال شغب ونهب وحرق وإتلاف للممتلكات والسيارات والمتاجر، في الجهات التي مر بها المتظاهرون، مما دفع شباب مدينة الجزائر أمام سلطة رجال الشرطة إلى التدخل والأشتباك مع المتظاهرين وإزجائهم على العودة من حيث أتوا، وقد كان لمظاهر التتريب والحرق والتدمير التي بثها التلفزيون الجزائري تأثير بالغ في الرأي العام الجزائري الذي يقم على سلوك دعاة البربرية ولم يعد يتجاوب مع مطالبهم، فكان ذلك بداية العد التنازلي لحركة العروش التي لم تستطع أن تحافظ على زخمها بعد مسيرة أولافان في 20 أغسطس والتي قطعها إحياء لثانية انقلاب مؤتمر الصومام (20 أغسطس 1966) وأبعدت عنها السلطات الرسمية الجزائرية ومنظمة الجاهدين التي اعتادت على حضورها.

لقد كانت خطة حركة العروش تهدف أساسا إلى القضاء على نفوذ الدولة الجزائرية في منطقة القبائل وجر السلطات الجزائرية إلى استعمال القوة معهم حتى يمكن لهم تجميد الرأي العام لصالحهم ودفع دوائر القرار في فرنسا للتدخل لصالحهم، ولكن النظام الجزائري الذي أصبح له الخبرة في التعامل مع المسألة البربرية هوجت عليهم الفرصة التي كانوا ياملونها، فلم يحاول استعمال القوة رغم الإمكانات والإمكانات التي لحقت برجال الشرطة والعرك الذين طاروا معاصرين مع عائلاتهم من مشرهم، ولم يكتب لنظام الجزائري نجاحا مخطط حركة العروش بل جردهم من شرعيتهم سلبا، وبهذه الطريقة لم تحصل دون بسط نفوذهم على منطقة القبائل إثر مظاهرات 26 يونيو 2011. وبذلك انعدم النظام ونصب القوض، وتحولت حركة العروش إلى ظاهرة احتجاج عسوي وعشائري مدني موجه للنفساء على مظاهر الدولة الجزائرية بمنطقة القبائل التي تعرض اقتصادها إلى أضرار بالغة طيلة سنتي 2011 و2012 وتحول معه أغلب المتعاطفين معها من التجار والصناع والفلاحين والطلبة من مواقف مماثلة إلى متحفظة، وهذا ما سمح لأجهزة الدولة الجزائرية بأخذ زمام المبادرة من جديد مستغلة تحت مظلة العروش ومماثلاتهم في مطالبهم التي لم تعد طوعية ثقافية وإنما تحولت إلى معادلة سياسية، فبادرت إلى سحب البساط نهائيا من دعاة البربرية بإدراج ما اصطلح على تسميته بـ «اللقمة الأمازيغية» في الدستور كلقمة وطنية بعد أن أدرجت «الأمازيغية» سابقا كأحد لغات ومقومات الشخصية الجزائرية أممو بالعربية والإسلام في نص الميثاق الوطني الجزائري العام 1966، دون أن تعدد أي لهجة بربرية تعتمد كلقمة أمازيغية ودون أن تقرر أي حرف تكتب به، في الوقت الذي تعدد فيه الناطقون باسم حركة العروش وتعرضت تنظيماتها للانقسام وتحولت من كونها وعاء حقيقيا للرأي العام ببلاد القبائل إلى تنظيم يهدف إلى المشاركة في السلطة عن طريق مطالب جهوية، وهذا ما جعل دعاء حركة العروش يرون بأن المائة بالنسبة إليهم تكمن في كيفية الجمع بين الهوية والسياسة<sup>(1)</sup>.

## العملية البربرية ضد القبائل

يشكل هذه المواقف التوتت حركة العروش إلى أقاليم مستودرة وتحولات من حركة ثقافية اجتماعية تقوم على مبدأ المواطنة إلى مجرد حركة احتجاج وتعمد عند رموز الدولة بمنطقة القبائل. ولعل أهم عوامل فشلها يعود إلى أن مواقفها كانت مرتبطة بموازين القوى في النظام الجزائري والأجندة المتفردة في الإدارة الجزائرية، وإلى كونها لم تقدر مدى عمق الروح الوطنية الجزائرية لدى سكان بلاد القبائل، عندما أصدرت على أطوار رجال الدولة من منطقة القبائل باعتبارهم قوة احتلال وصعدت إلى تدعيم المؤسسات العامة والمصالح الإدارية والبلدية، على أن أكبر خطأ وقعت فيه حركة العروش هو عدم فهمها للعبة السياسية التي فُتلت تعاريفها الأحزاب التقليدية في المنطقة. وفي مقدمتها حزبا جبهة القوى الاشتراكية والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، فعالتت المزايدة عليهما، طوقلت من السلطة الجزائرية موقف تعدد غير قابل للمراجعة، وهذا ما شجع بعض المعاصرين من صفوفها إلى طرح مطالب متطرفة وصلت إلى حد طرح فكرة الانفصال كحل لمشكل القبائلي، هذه الفكرة التي مهد لها أحد دارسي البربرية وهو الأستاذ سليم شاكور عندما ربط تطور الطائفة البربرية بالحكم الذاتي، عندما اعتبر أن «الحكم الذاتي العياشي له فوائد تعود على مستلة القساوي وعلى سكانها بالعدالة، لأنه تحرر من الاستعمار الذي تعارسه مؤسسات الدولة الجزائرية الثورية من عهد غريسانة»<sup>1</sup>، وقد يادو القضي طرحك مهني بالقيادة بالحكم الذاتي لبلاد القبائل مع أني أصبحت الحكومة الجزائرية في نظره نظاما استعماريًا شديدًا. فاعين في دولة مستغنية في 2 يونيو 2006 بتقري أوزو من تأسيس «الحركة من أجل الحكم الذاتي لبلاد القبائل» مبررا مسادته هذه بأن تطور اللغة الأمازيغية (القبائلية) مرتبط بالحكم الذاتي الذي لا يمكن أن يكون له معنى حسب قوله بدون بعد اقتصادي، مؤكدا فتاعته بأن القبائلية هي الأساس الأول للأمازيغية<sup>2</sup>، وهذا ما صدم الكثيرين من ذوي النيات الحسنة، فزاولوا فيه عملا من قبيل الانتهاز الذاتي الذي يعيد المسألة البربرية إلى المظلمات التي نشأت منها، وجعل أكثر المتصممين القومية البربرية ببلاد القبائل يتوهفون من عواقبها، فتراجع تأثيرها في الشارع الجزائري، وهذا ما ظهر جليا في إحياء الذكرى الثالثة والعشرين للربيع الأمازيغي (20 أبريل 2003) التي لم يكن لها الصدى الشامل بين سكان القبائل، مما أثار قلق ومخاوف دعاية البربرية وجعل الصحافة الناصرة لها ومنها جريدة «الوطن» تحاول تصحيح التجمعات وإلقاء المسؤولية في فشل حركة العروش على أجهزة الدولة التي لم تفهم، حسب زعمهم، مطالبها بل شعادت في التحم من شأنها ووصف القائمين عليها بالشاذيين<sup>3</sup>، وتعل الفرصة المتاحة الآن لهذه الحركة، لكي تحافظ على وجودها وتعرض أفكارها على الشارع القبائلي، تكمن في موقف القوة المساندة لها في جهاز الدولة الجزائرية والتي تعمل على استمرار الأزمة البربرية والتي

لا يستبعد أن نشيد بها وتمديد لها الطوعية وتربط الاتصال بها وتحاول التفاوض معها، بعدة الانتفاع والتضامن وتقبل الآخر وإن كان ذلك يتنافى والمصالح الحية والاستراتيجية للشعب الجزائري.

## ٥- واقع المسألة البربرية

إن المسألة البربرية بعد أن فرضت نفسها من خلال الأحداث التي سبقت الإشارة إليها أصبحت في مقترب طريق، إما أن تراجع نفسها وتعدل توجهاتها لتندمج في التطور التاريخي للجزائر الذي يسير نحو المزيد من الانسجام القوي والتفاعل الثقافي والتقارب الاجتماعي والحوار السياسي، فتغدق المطالب البربرية إحدى مكونات الشخصية الجزائرية لسير عن قيم وطنية لا تتعارض مع الهوية العربية الإسلامية للجزائر. مما يسمح بتوسيع الأفق السياسية وتمييق الضمير الوطني الجزائري، وإما أن تزيد من طولها وتطوّر في مطالبها لتدفع منطقة القبائل نحو الحكم الذاتي وتهدد الظروف لفصل المجموعة القبلية عن باقي الشعب الجزائري كما يأمل بعض المتطرفين من دعاتها الذين يعانون الانشقاق الفكري والتعصب الأبويولوجي والطلق النفس والاضطراب الاجتماعي، وفي انتظار ما قد تقول إليه الأوضاع، فإن واقع المسألة البربرية اليوم في الجزائر جعل الراي العام الجزائري يختلف حولها بين مؤيد متحمس وبين موقف معتدل أو معاليه بشرف الأحداث وبين ممارس متشدّد: فالمدافعون لها والمؤيدون لمطالبها والمترددون بأحد أطيافها رغم شذوذهن التطورات بنية محدودة العدد متعصبة مطالبها ومتحمكة بأفكاره. فنحل التفتيش والتفتيش والتعشير. فأصبحت ترى في قضيتها معاناة مقيدة وقصية وجود ولا نسمح بالراي المخالف ولا نرى الحقيقة من الجانب الآخر ولا تقبل النقاش بل لا تردد في أن تفرغ ما تراكم لديها من أفكار في عملية عنف وموقف يصف بالحقن والتشنج، مما يبعد القضية البربرية عن كونها فكرة مصدرة العقل ويجعل منها موقفاً ممبراً عن عاطفة تتحكم في الإحساس والسلوك<sup>١٢٠</sup>. وهذا ما عبر عنه أحد دعاتها بقوله: «إن الجزائر بربرية شتاً أم بهراً... وإن اللغة البربرية (القبلية) لها ماضيهما وكذلك المستقبل. وما مقاومتها لللاتينية ثم التعريب فيما بعد وأخيراً الفرنسية إلا أدلة واضحة على تعلقها بديناميكية خارقة جعلت منها قضية بالفعل»<sup>١٢١</sup>. وبالفعل فإن هذا التوجه قد حاول تجاوز الواقع عندما علّا هتافه على النشيد الوطني ورفع علما ممبراً في بعض التظاهرات، وقام ببعض الكتابة بالحروف العربية من على لوحات الطرق وإعلانات المحلات والمصالح الإدارية بمنطقة القبائل. واعتبر أن كل ما هو عربي إسلامي عدو ودليل، كما يعبر عنه العديد من الهتافات والإعلانات التي رفعت منذ سنة ١٩٨٠<sup>١٢٢</sup>.

وتضاف إلى هذه الجماعة المتعصبة شريحة واسعة من التقهين للفكرة البربرية والتي تميز موقفها بالاعتدال بفعل الحس الوطني والرؤية السياسية البعيدة، فهي تقر بمطالب دعاة

## الوحدة البربرية في الجزائر

البربرية من حيث كونها قضية ثقافية وليست كونها توجهها انفصاليها معاديا للوحدة الشعب الجزائري، هالدعوة البربرية بالنسبة لهم رغم ما عرفته من انحراف وعاشت من تطرف تطل راعدا من رواعد الثقافة الوطنية الجزائرية لا يمكن أن يستعمل في أي حال من الأحوال لضرب العرب والإسلام والعروبة والوحدة الوطنية، مما يتطلب احترامها باحتيائها ليست شعارات نظية وإنما هي مطلب شعبي ومسألة مرتبطة بحرية التعبير واحترام الآخر<sup>(1)</sup>. وهذا ما عبرت عنه إحدى الشخصيات التاريخية الجزائرية وهو حسين أيت أحمد بقوله: «إننا لا نقول بوجود قومية بربرية أو قبلية بالجزائر بالنسبة إليها، ونقولها بقوة أن الجزائر واحد لا تتجزأ». وهذا ما يفرض على الجميع تقبل التراث الثقافي البربري والاعتزاز به لكونه إحدى مكونات الهوية الجزائرية<sup>(2)</sup>.

وبعدا عن هذا الموقف ظل السؤال الأعظم من الجزائريين لا يهتم بالسؤال البربرية وإن فرضت أحداثها عليه، فغالبا ما يتصف موقفه بالحياد، لكن مع تصاعد المطالب البربرية وتعددها للرأي العام الجزائري الذي يرى في القيم الحضارية التي يحملها الإسلام دافعا قويا لتثقيف الضعيف الوطني الجزائري<sup>(3)</sup>. شكل مجموعة وشية مجموعة العدد أحدث موقفا معاديا لطروحات دعاة البربرية، تحولت إلى شريحة اجتماعية ما من نشاطها، يتوسع وينتشرها في المجتمع الجزائري ويتعاظم، بفعل مبالغة دعاة البربرية في مطالبهم ومطالبهم، التي ما يمت إلى العروبة والإسلام، وأصبحت غالبية هذه الشريحة ترى في الدعوة البربرية مخرج لحل مشكلين متعرجين، ولتطوير الأفكار التي تطرحها من بقايا الاستعمار الفرنسي، فهي حسب فهم أحد وشية التيفلج وهو أكلي بلعياص فكرة مفصلة القبائل المرابطون وأنون لمرسدة، تدفع بها العديد من أفراد جيل الاستقلال من شهر الأتراك والعملاء والخونة ويفعل عامل الحمية المرطوية والفتنة القبائلية<sup>(4)</sup>. وهذا ما حاولت التعبير عنه أيضا العديد من الكوائج والمناشير والبيانات والفتايات، تذكر منها على سبيل المثال بيان لجنة مساندة المجهود التعليم للمصالحة الأمازيغية الصادر بالجزائر عن مجموعة تنتمي إلى مختلف شرائح الشعب الجزائري في 5 سبتمبر 1996 وإلى على برنامج المحافظة السياسية للأمازيغية باعتبار ما جاء في هذا البرنامج ابتذرا وضربا للشخصية الجزائرية لأنه حسب ما جاء في هذا البيان: «يمس توابت الشعب الجزائري ووحدته ويهدد الحروب أهلية لقائدة المستعمر»<sup>(5)</sup>. وكذلك إعلان لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وتوابت الأصالة بباتنة المؤرخ في 21 نوفمبر 1996 والذي جاء فيه: «وإننا نؤكد للجميع أن اختيار لغة رسمية ثانية للجزائر يطمح لسيادة الشعب وحده عن طريق الاستفتاء ولا يمكن فرض لغة رسمية ثانية بجانب اللغة العربية»<sup>(6)</sup>.

انطلاقا من هذه المواقف من دعاة البربرية وبالرجوع إلى الطغمية التاريخية للمصالحة البربرية وانعكاساتها على الواقع الجزائري، يمكن استخلاص بعض المعيزات والخصائص واستنتاج بعض الأحكام والتقييمات حول «القضية البربرية» في الجزائر:

١- إن المسألة البربرية من حيث الأفكار التي تحملها وتعالول فرضها ما هي إلا جزء من المشروع الاستعماري الذي حضنت له الجرائر طيلة ١٢٢ سنة (١٨٣٠ - ١٩٦٢) والقيام على فكرة تعظيم التوأمة الحضارية للشعب الجزائري المتشكلة في الإسلام والبربرية. وهذا ما جعل دعايتها يستندون على أصولها - لأن كل دعوة معادية للبربرية والإسلام في الجزائر لا تصدر إلا عن تصور استعماري خلطت له الضمائم الفرنسية - وعمل على تحسيسه رجال الإدارة الاستعمارية العرب وحده الشعب الجزائري وتقسيمه، بدليل أن ماضي الجزائر منذ أقدم العصور وحتى بداية الاحتلال الفرنسي (١٨٣٠) يكاد يخلو من أي مظهر من مظاهر العنصرية، وأن حوثيات التاريخ الجزائري لم تسجل منذ الفتح الإسلامي أي حركة معادية للعرب أو متعصبة من الإسلام، وحتى بعد الاحتلال الفرنسي ظلت السياسة البربرية الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى لا تتجاوز المصالح الأهلية للإدارة الفرنسية، ولعل هذا ما دفع المؤرخ الفرنسي شارل رومير أجرون (Ch.R. Aguron) إلى اعتبار سياسة فرنسا «البربرية» في بلاد القبائل مجرد وهم أو خرافة كما صنف الإشاعة فيه<sup>١٢٢</sup>. وعمل أحد رجال الحركة الوطنية المناهض بن يوسف بن خدة، يعتبرها - معزوز بحسنة التأريخية الاستعمارية والأفكار الشيوعية<sup>١٢٣</sup>.

ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار الحركة البربرية بالحوار وليس كل البربر تعبيرا عن حالة من الاغتراب الشريفة ما فلتت بتأريدها ونعائلم صودها، تتشكل أساسا من النخبة الجزائرية المغربية والمتلفة الثقافة الفرنسية و المشمة بنيد العنصرية العربية وليس كما يدعي ميشال جوبير (M. Joubert) صدى حقيقتها للضمير البربري<sup>١٢٤</sup>. وقد أصبح الاغتراب يشكل نوعا من الثقافة في غياب مشروع مجتمع كقول بلعيد كل الطوائف وقادر على تجاوز التنازع والانسداد الثقافي والاجتماعي، وبفعل ظهور جيل جديد من الجزائريين ولد بعد الاستقلال ولم يعد مرتبطا بأدبيات الحركة الوطنية أو ملتزم بقيم الثورة التحريرية، كما لم يعد مفتحا بأي مشروع بعد فشل تجربة هواري بومدين (١٩٦٥ - ١٩٧٨) في المجال الاقتصادي والثقافي.

٢- إن المسألة البربرية ظلت محصورة في منطقة القبائل ولم تكن انعكاسا للمناطق التي تتكلم لهجات بربرية أخرى مثل الأوراس وميزاب والهوفاور - هذا إذا استثنينا أفرادا قليلين لا يميزون عن ميول السكان ومواقفهم، وهذا ما جعل الحركة البربرية حسب تعبير الجنرال أنسري (Anseri) (١٦ ماي ١٩٥٦): قضية قبايلية لا أكثر ولا أقل<sup>١٢٥</sup>. وقد حاول حسين آيت أحمد إيجاد مبرر لهذه الدعوة التي ظهرت بالقبائل وإسقاطها تفسيراً يحافظ على الانسجام الوطني عندما صرح بأن: الأمة الجزائرية لها عدة مستويات هي السرعة من حيث التطور وحسب المناطق، وأن مظاهر استيفاط بلاد القبائل البكر من حيث عمقه وسرعته لنشأه عرض على القبائل والجهات تتعلق بالشمسية الوطنية ومنها النكون أو الثابت

## المسألة البربرية دم الزنوج

البربري<sup>١</sup>، مثانيسيا تأثير الاستعمار وعمق عقلية التفرقة والتفريب التي خضعت لها بلاد القبائل بخلاف المناطق الأخرى الناطقة بالبربرية كألوراس وميزاب والهوفار التي امتزج فيها التمييز البربري بالشعور الإسلامي وبالحمية الخالصة للغة العربية، مما يجعل كل دعوة هي هذه المناطق ضد لغة القرآن وشريعة الإسلام تعتبر بمنزلة استفزاز وتحد لا يمكن قبوله أو التسليم به.

وقد انعكس انحصار تأثير الحركة البربرية ببلاد القبائل سلبا على توجهات الحركة البربرية نفسها واقتضاها البعد الوطني الذي طلت تسعى إليه والعمل من أجله باعتبار أن شمال أفريقيا بربري، وهذا ما دفع بعض دعاة البربرية إلى محاولة تنظيم تسمية السكان المتكلمين باللغات البربرية، خاصة القبائل منهم، فقدموا نسبتهم إلى مجموع سكان الجزائر بما لا يقل عن ١٢٪<sup>٢</sup>، فيما الإحصاءات الرسمية تحدد هذه النسبة بـ ١٢,٩٪<sup>٣</sup>.

وهي إشار تجاوز الصفة الإقليمية والطروح من «القبائل القبائلي» نداء البربرية بلغة أمازيغية هي في الواقع لهجات بربرية عداد، وحاولوا نقل نشاطهم خارج بلاد القبائل، فاستعنت عنهم ميزاب بعد أن تطلعت الجمعيات الثقافية البربرية لملتقى بفرديلة للغة البربرية (٢٥ - ٢٦ أبريل ١٩٩٦)، **وتم تنقل أفكارهم إلى ألوراس**، وكانوا يأملون كسب هذه المنطقة إلى جانبهم لإعطاء حركتهم صفة البربرية والتأطير الوطني<sup>٤</sup>، لكنهم استطاعوا بانتشار الوطني معشلا في نقابا محافظا في ألوراس، وعلى رأسه المرحوم الحاج الأخضر، الذين رأوا في هذا التفرقة خطرا يهدد وحدة الجزائر ويرمى مستقبلها، ولم يكتب النجاح لملتقى اللغة البربرية ببنسة الذي حاولت المبرزة الوطنية لجمعيات الثقافية البربرية تنظيمه (١٩٩٢)، رغم تعاطف بعض المسؤولين بالأوراس معها. كما لم يكتب للملتقى الذي دعت إليه المحافظة السامية للأمازيغية ببنسة في شهر أغسطس ١٩٩٦ النجاح، بعد أن قدم به سكان الأوراس ووجهوا في شأنه رسالة إلى رئيس الجمهورية الجزائرية بتاريخ ١٢ مايو ١٩٩٦، جاء فيها: «كيف نفسرون هذا الميلاء القبائلي الشوه للأمازيغية في منطقة محدودة في وطننا العريق والعني باللغات والثقافات. ونحن نندد بهذه الممارسات ونشتمل لها، وحاول هؤلاء، المتمزليون ضرب اللغة العربية بإيجاد بديل لها بعد أن كانت هذه اللغة نسيا منسيا لألاف السنين في مختلف التاريخ. إن الذي يؤسف له أن يتراد من الأوراس في هذا الوقت أن يكون منطلق هذه الصلة التفرقية واللغة التاريخية وكانهم يريدون بهذه القبيلة الموقولة تشجير تاريخ نوفمبر ١٩٥٤»<sup>٥</sup>.

٢- إن الحركة البربرية تعبير عن التطلع الخطيرة التي تسبب فيها إعمال الحركة الوطنية الجزائرية للحزب القبائلي والناظمي في مشروعها الوطني. فقد أعطت الحركة الوطنية الجزائرية عقلة في اعتبار الاستقلالي مزعامة مصالي الحاج (١٩٦٩ - ١٩٥٤) الأولوية في تضامها لتجانب السياسي الحركي على

بعد التبريري والروحي بفعل أسباب موضوعية وظروف فاعله، وهذا ما سمح للثقافة الفرنسية أن تصبح وسيلة عمل ونضال من أجل تحرير الجزائر، فكان ذلك شيئا مقبولا بالنسبة للجيل الأول الذي بعثه مصالي النعاج والذي كانت ثقافته عربية إسلامية خالصة، لكن مع وصول الجيل الثاني الذي بعثته اللجنة المركزية لحزب الشعب إلى مراكز الصدارة في المؤسسات تحولت الثقافة الفرنسية إلى ثقافة سائدة تؤثر في القطاعات والتوجهات قبل الثورة التحريرية وهي ألفتها (1961 - 1962)، وحتى بعد استرجاع السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال (1962) اضطرت الدولة الجزائرية الفتية تحت الرعاية الملمسة لبناء الهياكل الإدارية وتنظيم المصالح الاجتماعية والاقتصادية إلى الاعتماد على الإطارات الفرنسية، وإن وقعت شعار التعريب ونهبت فيه بعدا إلى حد اعتبار سنة 1971 موعدا لتجسيده، وهذا ما أثار مخاوف النخبة الفرنسية وجماعات الشيعيين ودعاة البربرية وولد تيارا مغاليا مغربية في الأوساط المتقدمة في الإدارة الجزائرية، فلم يجد نوى الثقافة العربية بدا منه من التوسط في الوظائف الدينية والتعليمية والهام الثقافية والشاعرات العربية والتوقف موقفا متحفيا من التوجهات اليسارية للنظام الجزائري، مما جعل خصوصية بنوعيه أكثر حدة مع أن موضوع المصادقة كان في الواقع صعبا، فمن عدم قبولهم الفكرة إيمانهم عن الفكرة التعريبية التي كانت لها مشاريع هواري بومدين أكثر من كونه صافرا عن موقف معبر عن فعل رجعي<sup>(1)</sup>، ومع تراجع المشروع الوحدوي أواخر السبعينيات شعرت النخبة الفرنسية معتلة في التومونكلازيم<sup>(2)</sup> بالحكمة في الإدارة وأخيرة قبوله أربعينياتها ومكثتها خاصة بعد فشلها في وقف عملية التعريب بعد تحية مصطفى الأشرف من رؤساء التربية والتعليم وتوطيده بمحمد الشرف خروسي (1977) وشروع هذا الأخير في تطبيق أسرة 1969 التي أقرها حزب جبهة التحرير الوطني والمقتلة بالمرسة الأساسية القائمة على فكرة توحيد التعليم ولغوية وجزائرية. وبذلك أصبحت المواجهة مفتوحة بين النخبة الفرنسية ودعاة البربرية وبين اتصال العربية والفرنسية بالتواتر الوطنية الذين وجدوا في التيار الإسلامي التناسي خير سند لهم في معركتهم الصيرورية المتصلة في استرجاع العربية لشكلها الطبيعية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية للدولة الجزائرية.

1- إلى الحركة البربرية كانت رد فعل على عملية التعريب التي حاولت الجزائر الأخذ بها لتحقيق الاستقلال الثقافي والكتابات الشاع الحضارية، وهذا ما جعل الحركة البربرية ترتبط مطالبها وينشأ نشاطها مع التقدم الذي أحرزته الجزائر في هذا المجال فكانت المطالب البربرية في السبعينيات رد فعل على تقدم عملية التعريب، كما كان تعريب الدراسة في مجال العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر (1980) والشروع في تعريب الحالة المدنية يوم 20 أبريل 1980 أساسا لأحداث الربيع الأمازيغي<sup>(3)</sup>.

إن دخول قانون استعمال اللغة العربية في الإدارة والحياة العامة والمؤسسات حينئذ التنفيذ ابتداء من تاريخ 5 يوليو 1994 وقرار تعريب الجامعة تعريبا كليا في 6 يوليو 2000، جعل نشاط الحركة البربرية يتخذ شكلا متغيا، فكانت جاذبة الانتباه الطرب



## المسألة البربرية في الجزائر

الشعبي القبائلي مصطفى الواس (٢٦ يونيو ١٩٩٨) سببا في إشعال نار الفتنة ووقف تطبيق القانون. وبدا الحدث عن نشوء الحركة المسلحة البربرية التي هددت بقتل كل من يطبق قانون التعريب<sup>(١)</sup>.

٥- إن الحركة البربرية هي تعبير عن الصراع الأيديولوجي والثقافي الذي نميشه الجرائر منذ الاستقلال وحتى الآن، فهي تعبر مرة للمهاجرة وثقافة الحرب الواحد في الجزائر (١٩٩٢-١٩٩٨) التي شهدت العناصر التزييه في المجتمع وأفرغت المساحة الجزائرية من عوامل الناعة الذاتية النابعة من الإيمان العميق بالقيم والبادئ، كما أنها نتيجة غير موفقة لممارسة تعددية حزبية ظلت فاصدة منذ استقلالها سنة ١٩٦٢. من تكوين آراء وثقافات مشتركة بين الجزائريين، وهذا ما سمح للمساواة البربرية بأن تطرح نفسها كقضية ثقافية ومساواة سياسية في آن واحد، وتصبح واقعا اقتصاديا يلغز على الشارع الجزائري. بعد أن تعامل معها النظام الجزائري بنظرة أمنية، غالبا ما تمسك واقع الثورات المسلحة، الأمر الذي أحدث قلقا وجدانيا وثاقضا ذاتيا خاصة بين دعايتها بعد أن انصلوا عن دوائر السلطة والبروزوا مرشحين لمحضن الإدارة الجزائرية، وبذلك لم يعد دعاة البربرية يقتنعون بجدمة القضية المنددة في الفترة الدولة الجزائرية التي طالما رعتهم وتقبلت أفكارهم وفحصت تصرفات من شاطئهم ما داموا حاضرا عليهم في مواجهة التعريب والحيولة دون استرجاع اللغة العربية مكانتها العنصرية في المجتمع ومؤسسات الدولة الجزائرية.

٦- إن الحركة البربرية تعبير عن آراء وضع ثقافي واجتماعي قائم على الإدراجية الثقافية والثقافة الاجتماعية بين مغربيين ومغربيين هو مص تقسيم دول العدل ونوعية النشاط الثقافي والتعليمي. هادى ذلك إلى انقضاء اجتماعي وتعتمد نمو تعرض في شكل قيم ثقافية وثقافات دينية معبرة عن المصالح الذاتية، وهذا ما جعل الحركة البربرية تبتعد عن طابعها الثقافي وتربط أكثر فأكثر بالنزعة السياسية وتدمج في التنظيم الحزبي وتصبح جزءا من المجتمع المدني الرافض للقيم الإسلامية والبربرية، وهذا ما يؤكد تحول دعاة البربرية الذين كانوا ينشطون في المساحة الثقافية إلى العمل السياسي، وبذلك هيأوا الأرضية لظهور أحزاب سياسية بعد إقرار التعددية السياسية إثر أحداث ٥ أكتوبر ١٩٨٩، وهذا ما أدى لاحقا إلى تقسيم الحركة الثقافية البربرية إلى عدة توجهات بدأت تظهر تصنيفات بين مؤيدين والجزيريين الرئيسيين بمنطقة القبائل إحداهما مؤيدة لحزب جبهة القوى الاشتراكية، والأخرى مساندة لحزب الشعب من أجل الثقافة والديمقراطية.

٧- إن الحركة البربرية نشاط ثقافي ظاهري ناتج عن ثقافات ثقافية ومواقف أيديولوجية سوف لن تلبث حركة التاريخ الجزائري أن تستوعبه، لأن الواقع الجزائري اليوم - باعتباره حصيلة لتطورات تاريخية - لا يقر بوجود أقلية أو أغلبية لغوية أو عرقية بربرية أو عربية تبرز صوب وحدة الشعب الجزائري وتقسيمه إلى ثقافتين ولغتين، وحتى لو افترضنا بأن هناك

أقلية حسب مفهوم ديمقراطية البربرية فإنها - قبل كل شيء - أقلية شعبية تحاول النخبة القومانية في بلاد القبائل استقلالها والاندراجها متناسبة أنها تشترك مع الأغلبية في الأصول، وتسهم معها باستمرار في تكوين الأكثرية العربية لأن هذه الأكثرية إن سلمنا بوجودها فإنها قائمة على أساس الانتماء الحضاري لا العنصري<sup>١٢٢</sup>.

وهذه النظرة فإنها تعبير التعصب البربري في الجزائر تيارا مضادا لتسير التاريخ وتطور المجتمع يحاول وقف عجلة التاريخ. وهذا المفهوم تمثل الحركة البربرية في نظرتنا محدود ظاهرة ثقافية واجتماعية انتعشت في الفترة الاستعمارية التي عاشتها الجزائر وعازلت آثارها ملموسة ومؤثرة في المجتمع الجزائري. وتعبير عن تازم اجتماعي وفراغ ثقافي لم تستطع الحركة الوطنية طرحه بالشكل الصحيح ولا الحكومات الجزائرية بعد الاستقلال معالجته بالأسلوب الناقص. والأمر يتطلب اليوم حل هذا المشكل في إطار المسائلتين السياسية والثقافية اللتين يتوقف مستقبل الجزائر على إيجاد حلول لهما.



وأخيرا... لا يمكننا إلا القول إن حقيرة الشعب الجزائري الذي عاش مأسى وويلات الاستعمار الفرنسي (١٨٣٠ - ١٩٦٢)، وحاض ملهمة الثورة (١٩٥٤ - ١٩٦٢)، ولصعد لعملية البناء الوطني في ظروف صعبة - كثيرة ياخذوا. الآثار السلبية الناتجة من «المسألة البربرية» وتحدوا الأزمات والظواهر المرضية بها. وذلك في إطار مشروع ثقافي نابع من روح الشعب الجزائري، ومصر عن روح المواطنة، وتسير بالعقلانية والأصالة والحيوية والتضامن والاتساح، بحيث يصبح التمسك القومي جس والاختلاف في الرؤى حيوية. وطرح الأفكار المستعجلة حاضرا للتفاعل وعاملا مساعدا على تجاوز التمرکز حول الذات ودفعها للتفتاح على الآخر. وهذا ما يجعل من «البعد البربري» في الذاكرة التاريخية وفي التراث الجزائري، عنصر تدعيم وتوحيد وتعزيز للشخصية الجزائرية، حينما حدد مواصفاتها وبنائها مكوناتها باعث النهضة الجزائرية الإمام عبد الحميد بن باديس في الثلاثينيات من القرن الماضي، التي تلتخص في الامتزاز بالأسس البربرية والتمسك بالطاقة العربية وتمثل الروح الإسلامية والالتزام بالوطنية الجزائرية والتي عبر عنها تشييده الخالد، الذي تلمت البيتين الأول والأخير منه اللذان من هذه الهوية وما تتطلبه من مواقف وتضحيات:

شعب الجزائر مسلم      وإلى العروبة ينسحب  
وإذا ملكك فصرحتني      لولا الجزائر والعرب



Ch. R. Ageron, L'Algérie algérienne de Napoléon III à De Gaulle, Paris, Sindbad, 1980 («La politique berbère sous le Second Empire, pp. 37-71»).  
- Ch. R. Ageron, La France arabe ou une politique kabyle, in Revue historique, avril 1960, pp. 311-352.

J.- M. Verneux de Paradis, Grammaire et dictionnaire abrégé de la langue berbère, Paris, imp. Royale, 1844.

Abbé G. F. Raynal, Histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des Européens dans l'Afrique septentrionale, Paris, Costes, 1826.  
Pharaon, Les Cabiles et Bougie, Alger, Philippe, 1935.

- A. Durcau de la Malle, Recueil de renseignements pour l'expédition ou l'établissement des Français dans cette partie de l'Afrique septentrionale, Paris, Gide, 1837.

- H. Saladin, Lettre sur la colonisation des possessions françaises dans le nord de l'Afrique, Genève, imp. Delafère et Eschsch, 1897.

- Colonel Ed. Lapeire, Vingt-six années à Bougie, Note historique, morale, politique et militaire sur les Kabyles, Paris, Trésorier, 1859, publiée partie sous le titre : Tableau historique, social et politique sur les Kabyles, Metz, De la Motte, 1846.

- Abbé Suchet, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, T. uns, Marol, 1840.  
- Père Dugas, La Kabylie et le peuple kabyle, Paris, 1841.

- Baron Haude, L'Algérie, 2 Vols., Paris, 1841.

- E. Ravoux, Voyage politique et descriptif dans le Nord de l'Afrique, Paris, Brocaut et Armandes, 1841.

- Ch. Bresselard, Dictionnaire français-berbère avec le concours de Sidi Ahmed ben El-Hadj Ali, Paris, imp. Royale, 1844.

- Maréchal Th. R. Bugeaud, Exposé de l'état actuel de la société arabe, ou De diverses races qui peuplent l'Algérie, les Arabes, les Kabyles, in Revue de l'Orient, T. VI, 1845, pp. 345-361.

- Capitaine Fabar et Général Eu. Daumas, La Grande Kabylie, Etudes historiques, Paris, Hachette, 1847.

- Ch. Duplén, Les Kabyles et la Kabylie, in Revue de l'Orient et de l'Algérie, 1847, pp. 264-280.

- Capitaine Carette, Etude sur la Kabylie proprement dite, in Exploration scientifique de l'Algérie, T. I, 1848.

Capitaine Carette, Recherches sur les origines et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie, 2 Vols., Paris,

1840-1842.

- Général Eugène Daumas, La société berbère, in *Revue de l'Orient, de l'Algérie et des Colonies*, T. VII, 1858, pp. 305-321.
- Général Eugène Daumas, La Kabylie, in *Revue contemporaine*, 1856, pp. 1-31.
- Général Eugène Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie (Tell, Kabylie et Sahara), 1ère éd., 1853 (4ème éd., 1864).
- L. de Binklévre, La colonisation de l'Algérie, ses éléments, Paris, Leconte, 1856.
- A. Berbrugger, Les époques militaires de la Grande Kabylie, Paris, Baste et Chailamel, 1857.
- A. Berbrugger, Les confins militaires de la Grande Kabylie sous la domination turque (Provincia d'Alger), Alger, 1857.
- Ch. L. Féraud, Notes sur Bougie, in *Revue africaine*, 1859-1859.
- C. Devaux, Les Kebbals du Djerdjara, Paris-Marseille, ed. Chailamel, 1859.
- Dr. A. Bernard, Campagne de la Kabylie, Paris, 1860.
- Colonel L. Guin, Notice sur le Cherif **Gassen des Gueschoulas**, in *Revue africaine*, T. 5, 1861, pp. 306-314. Notice sur la famille des Roberts de Cherchiel, in *Revue africaine*, T. 17, 1873, pp. 414-432.
- Baron H. Aucasplais, Les Kabyles et la colonisation de l'Algérie, Paris, Chailamel, 1864.
- Ch. Farine, A travers la Kabylie, Paris, éd. Duquesq, 1866.
- N. Bibesco, Les Kabyles du Djardjara, in *Revue des deux mondes*, T. 2, mars 1866, pp. 113-149.
- V. Bernard, Indicateur général de l'Algérie, Alger, Baste, 1867.
- G. Haroueau, Poésies populaires de la Kabylie du Djardjara, Paris, imp. impériale, 1867.
- Au. Porcé, Races indigènes de l'Algérie, Arabes, Kabyles, Maures et Juifs, Oran, Typo. Dagorn, 1871.
- Général A. Haroueau et A. Lecomte, La Kabylie et les coutumes kabyles, 2 Vols., Paris, Chailamel, 1872-1873.
- Colonel N. Robin, Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la Grande Kabylie, in *Revue africaine*, T. 17, 1873, pp. 132-140 et 196-207.
- Colonel N. Robin, Insurrection de la Grande Kabylie, 1871, Paris, 1901 et Notes historiques sur la Grande Kabylie de 1851 à 1858, in *Revue africaine*, 1902.
- H. Fournel, Les Berbères, Etudes sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, 2 Vols., Paris, imp. Nationale, 1875.

- Dr. Gavoy, Notice sur Tizi-Ouzou, Alger, Typo. Victor Asland et Cie., 1878.
- M. Manoussier, Anthropologie de l'Algérie, in Revue scientifique, 3ème série, n° 13, avril 1881, pp. 468-474.
- Colonel Trumelct, Les Saints de l'islam, Les Saints du Tell, Paris, Odeur et Cie, 1881.
- E. Merrier, Les indigènes de l'Algérie, Paris, Challamel, 1884.
- E. Masqueray, Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaouia de l'Aurès, Beni Mezab), Paris, E. Leroux, 1886.
- O. Houdas, Ethnographie de l'Algérie, Paris, Maisonneuve frères et Ch. Lacroix, 1886.
- H. E. Perret, Récits algériens, 2 Vols., Paris, Bloud et Barral, 1888.
- P. Gaillard, L'Algérie conquise, 1888.
- A. Viré, Les Kabyles du Djurdjura, in Bulletin de la Société anthropologique de Paris, T. 46, 1891, pp. 58-66.
- E. Charveniat, A travers la Kabylie et les diverses Kabyles, Paris, 1889.
- L. Rinn, L'imarication de l'Algérie, Alger, 1890.
- Jules Lionel, Récits berbères, Kabyles du Djurdjura, Paris, E. Leroux, 1892.
- G. Boissier, L'Afrique latine, Paris, 1895.
- Georges Elie, La Kabylie du Djurdjura et les Pâtes Blanches, Paris, 1921.
- J. Le Maître, Mœurs et costumes kabyles, Montpellier, 1903.
- H. Garros, L'islamisme et son action en Berbérie, in Bulletin de la Société de Géographie de l'Afrique du Nord, T. XI, 1906, pp. 154-188.
- H. Garros, Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910. -
- E. Laoust, Étude sur les dialectes berbères, Paris, E. Leroux, 1912.
- Ed. Duval, E. F. Gauthier, Enquête sur la disparition de la langue berbère, Alger, Jourdan, 1913.
- G. Maqan, Les Arabes en Berbérie du XI<sup>e</sup> au XIV<sup>e</sup> siècles, Paris, 1913.
- E. Merrier, Les indigènes de l'Algérie, leur situation dans le passé et le présent, Paris, Challamel, 1884.
- Colonel L. Pechon, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830, 3 Vols., Alger, 1914.
- Panay Colonna, Savants paysans, Eléments d'histoire sociale sur l'Algérie rurale, Alger, O.P.U., 1987, p. 96.
- E. charveniat, op.cit., p. 20.
- أحمد بن عثمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، الجزائر، منشورات «عالم» 1993، ص 141.
- Pipet, Les civilisations de l'Afrique du Nord, Berbères, Arabes et Turcs, Paris,

- A. Colin, 1921, d'après K. Filali, Le mythe kabyle et la politique coloniale de division, Unité de recherche Afrique et Monde Arabe, Université de Constantine, 1998, Travail dactylographié, p. 9.
- L. Bertrand, Le sang des races, le cycle africain, Paris, 1930 14
- Am. Bernard, L'Algérie, Paris, L. Félix Alcan, 1929, p. 140. 15
- H. Fournel, op.cit. 16
- V. Piquet, op.cit. 17
- G. Boissier, op.cit., p. 114. 18
- Augustin Belkacem Brazizet, Le pont de Berekmouch, ou le bonde de mille ans, la table ronde 1980, d'après Guy Pervillé, Les étudiants algériens de l'université française (1880-1962), Paris, éd. du C.N.R.S., 1984, pp. 214-215.
- Général Eu. Dumas, La société berbère et la Kabylie, op.cit. 20
- Guide de Bougie, la Petite Kabylie, Paris, 1914, p. 20 21
- E. Caroit, Recherches sur les origines, op.cit. 22
- اعتباراً على هذا الأساس (راجع المراجعين في التمهيد) وأحد أهداف مجلة الطبعة الجزائرية الإسلامية، 1977، ج 2، ص 122.
- Lhaoussine Mouggi, Vie politique de l'Algérie berbére, Alger, Maison des Livres, s.d., p. 96. 23
- Ch. R. Agron, L'Algérie algérienne, op.cit., p. 41 24
- Idem, p. 58. 25
- أحمد توفيق المصلي، كتب الجزائري، الجزائري، الطبعة العربية، 1975، ص 211.
- الطهوير البربري في المغرب الأقصى (1940) هو استعمار القضاة البربرية لفرنسا في الجزائر، وهو يهدف إلى تمزيق وحدة العرب الأقبس الحضارية بإيجاد البوم من الثقافتين العربية والإسلامية ويزعمون بدورهم سمعة أن إرثهم وأهميتهم مهددة بالتمويل في المغرب. وقد بدأ التمهيد له بيس ظهور 1917 لإحياء التقاليد البربرية التي تعزز بإصدار الجزائري أوبوش قرار إلغاء القضاء الشرعي بالمناطق البربرية (1917) والقتل على عهد القوي القائم لوسيل سان في شكل ظهور (أرميوم) صدر في 16 مايو 1920، مما أدى إلى رد فعل وطني صوب من قبل المعارضة برورا وهو ما هي شكل مظاهرات واحتفالات واستمراريات وكان شعار المقاومة التي انطلقت من القرويين بسان في شهر يونيو 1920 «الله وبالله» مما كانه الخطب فيها جرت به المظاهرات. إلا أن فرق هذا ومن (حوادث البربر) وكان له صدق هي المبادئ العربية والإسلامية التي تأسس مع الشعب العربي في مقاومتها، مما اضطر سلطة الحماية الفرنسية بالمغرب إلى تعهد الطهوير البربري بظاهرها وإن ظلت تصدر على نظمها معطوياً عن طريق الاستعدادات الطبيعية (الكواكب العربية البربري الذي أطلق ببارود سنة 1924) والركائز التشريعية (1928) مركزاً لتنتشر في المناطق البربرية سنة 1927).
- تتصرف على خلفية الطهوير البربري الذي أصدرته فرنسا في المغرب (1920) يوماً ما عن من مواقف ومقاومة، راجع مقال المصلي، المراكش الاستقلالية في المغرب العربي، الرياض، 1980، ص 111-114.

- وهدا ما أثر قلق واستياء كثير من الفرنسيين وثمة دعاة البربرية وسوء طبقات الكفايات الفرنسي  
الجنرال البربري الذي اعتبر ذلك بمثابة ومصلحة فرنسا وميراث السكان. (راجع  
Général André, Contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes,  
Algèr, Maison des Livres, 1956, p. 356.
- Ch. A. Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871), Paris, P.U.F.,  
1964, p. 44.
- Philippe Antony, Missions des Pères blancs (Tunisie, Algérie, Sahara et Kabylie),  
Paris, éd. Doin, 1930, pp. 144 etc.
- أحمد فخر الدين، المصدر نفسه، ص 74.
- A. de Tocqueville, d'après K. Fitah, op.cit., p. 5.
- Général André, op.cit., p. 354.
- محمد الصغير، تاريخ ثورة أورق ضد مشايخها وحسن سمة (1981)، ترجمة موسى زعولي، الجزائر  
مطبعة عالم، 1992، ص 155، وكذلك.
- J. Morizot, Les Kabyles, propos d'aujourd'hui, Paris, pub. du C.H.E.A.M., 1983,  
pp. 140-147.
- C. Lacoste-Dugard, Y. Louage, Progres de l'enseignement et particularismes  
locaux en Algérie: la réinvention des herbes de Grande Kabylie, in Le  
Monde Diplomatique, décembre 1980, p. 54.
- حضرة الصراف أحمد بنك (أحمد بنك بنك) (1921-1991) إلى عبد العسكري بلوم على مرافقة  
السكان عن طريق القنصل البربرية (انظر هامش 5) ويشتد إلى مراسيم إمبراطورية العديد القنصل (1877)  
والأحوال الشطحية (1876) وقد تولى الحكام العسكريون الفرنسيون للجنرال على عهد نابليون الثالث  
سياسة بربرية تهدف إلى تقسيم السكان وخلق حالة عداء بينهم، كانت محل نقمة المتمردين الفرنسيين في  
الجزائر الذين كفوا بتحويلهم إلى الاستعمار على كل شيء في الجزائر، مما مظهر دورهم في السياسة  
البربرية نظرا منهم، فوكلوا صدها في مجال الاقتصاد والإدارة بعد سقوط نابليون الثالث، وجاء الحكم  
العسكري في الجزائر (1870) وهذا ما جعل السياسة البربرية، تقسم بعد ذلك على المناطق الثلاث  
لخلق عداء فرنسا في الجزائر وليس للمعزى مجموعة جزائرية، فهذا كان وضعها، لأن تقوم بدور الحليف  
الطبيعي الفرنسيين في الجزائر.
- Louassine Mouggi, op.cit., p. 198.
- Général André, op.cit., p. 355.
- انظر هامش 5.
- Ch. Bressolard, op.cit.
- Ch. R. Agron, Les Algériens musulmans et la France (1871-1919), Paris,  
P.U.F., 1968, T. 1, p. 291.
- Henri Basset, Essai sur la littérature des herbes, Thèse de Lettres, Alger, Car-  
bonnel, 1920.





- 60 من أكتافهم نشاطاً وثقافياً أو . شير القدرين بمدرسة ليزي أورو ثم بالآلة، وكما في سلاتية فاضلي معكملة ليزي أورو ثم القمص الإزاري الشدية الأربعة ملك أو لسن، وروبو القمص الإزاري العديدة موجودة المحسطة راجع.
- 61 محمد الصغير طرج، المصدر نفسه، ص 164 و 164.
- 62 السيد مصوي شرف الدين، الشياطين، حومة المرحمة، حرملة الشويك، الجزائر، عدد 11، يوليو 1977، ص 9.
- 63 Lhamsane Mouggi, op.cit, p. 92.
- 64 Ahmed Taleb, La situation linguistique, in Revue Nodjma, Paris, n° 1, septembre 1981, pp. 16-19.
- 65 Liberman, Paris, 28 février 1992.
- 66 محمد الصغير زعالي، البحر العر أو حدة البحر، حرملة الشعب، الجزائر، 2 أبريل، 1977.
- 67 المعروف أكثر على صفة التسلل البربري باللغة العربية، راجع: هلمان سعدي، حرملة الجزائر عبر الماروج، الجزائر، الشركة الوطنية للكتاب والتوزيع، 1987.
- 68 Lhamsane Mouggi, op.cit, p. 197.
- 69 سعدي حسن البربرية في العهد الإسلامي والحركة الاجتماعية، in: *Le mouvement social en Algérie*, حرملة الوقت، عدد 17، 18، 19 أبريل، 1991، ص 90.
- 70 Karima Dircche-Slimani, Histoire de la question berbère en Algérie, les modalités d'une construction idéologique, in *Préjugés. Revue multiraciale du Livre*, Casablanca, n° 17, 1989, p. 16.
- 71 Michel Jolani, *Maghreb à l'ombre de ses ans*, Paris, Albin Michel, 1985, p. 105.
- 72 Hocine Ait Ahmed, La brasse berbère, in *Autrement* (L'Algérie 20 ans), n° 38, 1982, p. 155.
- 73 Karch Yacine, Abdokader et l'indépendance algérienne, Conférence à Paris, 24 mai 1947 à la Salle des Savants, Alger, S.N.E.D., 1983.
- 74 Jeune Afrique, 28 janvier 1987.
- 75 Revue Nodjma, op.cit., p. 20.
- 76 La Dépêche quotidienne du 24 septembre 1952.
- 77 إعلاما على محمد الصالح دغري، معاريف حول البرية الشعبية بولاية عموري، أوجية، حمي بن عيسى، الأساقفة، عدد 11/19، 1989، ص 11 و 17.
- 78 Nouvelles Indes du 17 novembre 1952.
- 79 إعلاما على محمد الصالح دغري، المصدر نفسه.
- 80 Maurice Thorez, Le dessein d'Alger du 11 février 1939.
- 81 Omar Guendou, La question berbère dans le mouvement national, Alger, éd. Epigraphie, 1993, p. 105.
- 82 Benyoucef Ben Khadda, Les origines du premier novembre 1954, Alger, éd. Dahlab, 1989, p. 170.

- Mem, p. 178. 81
- Omar Ouadain, *op.cit.* D'après : Janet Dorah Zogaria, *The Rise and Fall of the Movement of Messali Hadj in Algeria*, quoted by : M. Madi, *Langue et identité de la marginalisation à la résistance*, in *Reflexions*, Alger, Casbah éd., 1997, p. 113. 82
- Benyoucef Ben Khadda, *op.cit.*, p. 170. 83
- أحمد بن نعمان، المصدر نفسه، ص 177. 84
- التقرير العام للجنة المركزية لحركة التحرير الديمقراطية، نشره يحيى بوعزيز، الأبيدولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1987، ص 97. 85
- Benyoucef Ben Khadda, *op.cit.*, pp. 179-181. 86
- أحمد بن نعمان، المصدر نفسه، ص 177 و 179. عن مذكرات أيد أحمد المنشورة في فرنسا سنة 1987. 87
- أوزيفان، المصدر نفسه، ص 78. 88
- M. Madi, *op.cit.*, p. 112. 89
- Soual, n° 26, 1987, *L'Algérie nouvelle*. 90
- التقرير العام للجنة المركزية لحركة التحرير الديمقراطية، المصدر نفسه، ص 97. 91
- أحمد بن مياران، سياسية التصنيع المصفوة الحداثة وأثر تكوين الشغل بالجزائر، مجلة التاريخية للقرية تونس، سنة 1987، ص 198. 92
- أحمد بن نعمان، المصدر نفسه، ص 177 (الأكاديمية البربرية، باريس، 28 يناير 1997، الوثيقة رقم 7، منشور سري بعنوان: أيد البرابر استيقظوا). 93
- المصدر السابق، ص 179 (الأكاديمية البربرية، باريس، 28 يناير 1997، الوثيقة رقم 7، منشور سري بعنوان: أيد البرابر استيقظوا). 94
- Algérie Actualité* du 23 janvier 1992. 95
- Camille Lacoste-Dujardin, *Chansons berbères, chansons pour vivre*, in *Histoire*, n° 3, octobre 1978. 96
- Algérie Actualité* du 23 janvier 1992. 97
- Moulood Mammeri, *Poèmes kabyles anciens*, Paris, Maspéro, 1980. 98
- Camille Lacoste-Dujardin et Y. Lacoste, *Progrès de l'enseignement...*, *op.cit.*, pp. 24-33. 99
- J. Morizot, *op.cit.*, p. 262. 100
- Journal Le Monde*, 7 et 15 février 1985. 101
- Séminaire de Yakouren, août 1980, *Rapport de la commission Culture et Histoire : Quelle identité ? Inediyazen*, Paris, premier trimestre 1981, pp. 16-23. 102
- Morizot, *op.cit.*, pp. 265-266 et 270-271 103
- Morizot, *op.cit.*, p. 262. 104
- أحمد بن نعمان، المصدر نفسه، ص 187 (الوثيقة رقم 7، نداء إلى طلبة الثانويات، أبريل 1987). 105

103 لقد سلبت الأحزاب السياسية الجزائرية في مجملها بشرعية المطالب الثقافية البربرية، باعتبارها وسيلة لتجديد وكتب الانتصار وإن اختلفت في تكييفها وكيفية معالجتها، فثبتت كل مطالبة الأحزاب ذات التوجه العلماني مثل جبهة القوى الاشتراكية بزمامة أيت أحمد، وحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية بزمامة محمد معدي، وجبهة الشبهوعيين الوطنيين في حزب البلقية الاشتراكية (1999) الذي تحول إلى حزب التمدني ثم إلى الحركة الاشتراكية الديمقراطية بزمامة الهادي الشريف، وحزب العمال بقيادة أيزيد حنون، بالإضافة إلى حركة بعد المرحوم هادي مرياح، والحركة الديمقراطية للتجديد الجزائري، المرحوم سليمان صدرات، والتجمع من أجل الحريات والرفاهية لروفي معدي، وحزب الأصالة والمعاصرة. أما الأحزاب ذات التوجه الوطني واليول الإسلامية فمثل استيرت الأمنية أحمد تواتر الشفعية الجزائرية المتكاملة مع العروبة والإسلام باعتبارها أصالة وتراث للشعب الجزائري، كما هي الحال بالنسبة إلى جبهة التحرير الوطني وحركة حماس بزمامة محفوظ معطوف وحركة النهضة وحركة الإصلاح...

104 لقد استطاعت حركة المروزي اعتماد الصحافة الجزائرية من خلال مواظبة ورعيات نظرها، راجع: J. Sumpson, Apologie pour l'insurrection algérienne, 30 septembre 2001, éd. de l'Encyclopédie des naissances, Paris, 2001.

idem.

Leoran, n° 26, mars 2002, pp. 4-5.

Info Matia, Paris, 27 septembre 1994, p. 5.

El Watan, 20-23 avril 1993.

http://www.lesdeuxsaskes.com

رشيد الإدريسي، المصدر نفسه، الحلقة الثالثة، 29 أيلول 2001، ص 17.

سحلي حسن، المصدر نفسه، ص 10.

انظر ماضى 1-1.

محمد زروقي، تصريح لجريدة النهار، الجزائر، 19-11-1988.

- أيت موهوب، إقصاء الأمنانية استعمار آخر، جريدة الوقت، الجزائر، عدد 70-71، 19-11-1991.

Hocine Ali Ahmed, op.cit., p. 156.

انظر كذلك الحوار الذي أجراه محمد بركة مع حسين أيت أحمد ونشره في مجلة جون أفريك، عدد 17.

1992، ونشره جورج راسي في الإسلام الجزائري، بيروت، دار التمديد، 1992، ص 71.

Benyoucef Ben Khadda, op.cit., p. 183.

ألفي بيلباس، من هم الأحرار الأمنانيون؟ جريدة الشعب، الجزائر، 22 فبراير 1990.

بيان مساندة القوم المسلمين المسألة الأمنانية، الشروط العربي، الجزائر، عدد 91، 98 ديسمبر-1 كانون

1992.

بيان لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وتواتر الأصالة برفقة موجه إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 21 نوفمبر

1991 (مطبوع على الآلة الكاتبة).

انظر ماضى 1.

Benyoucef Ben Khadda, op.cit., p. 170.

M. Jobert, op.cit., p. 103.

- Colonel Abdel, op.cit., p. 352. 101
- Hocine Ait Ahmed, op.cit., p. 154. 102
- جون بول ماري، الحرب على جهنم، جريدة الوقت، الجزائر، عدد 20، 14-15 أبريل 1993، ص 12. 103
- أنظر هامش 3. 104
- جريدة الطير، الجزائر، 24-25 أبريل 1993. 105
- رسالة من سكان الأوراس إلى رئيس الجمهورية الجزائرية حول موضوع مطلب الأمازيغية، 19 مايو 1993 (مطبوعة على الآلة الكتابة). 106
- أحمد بن مبارك، المصدر نفسه، ص 22. 107
- M. Dahmani, L'Algérie, légitimité historique et continuité politique, Paris, 1979, p. 156. 108
- K. Dirache-Slimani, op.cit., p. 19. 109
- أحمد رضوان شريف الدين، المصدر نفسه. 110



# آفاق نقدية



ARCHIVE

<http://www.alukah.net>

● لبار الوجدان السياسي في المغرب: الأمل

● طيبة محمد الكمال ووظيفته

● شعور المثقف في عالم مليء بالتحديات: بين الأمل والتفكير